الضَّميرُ المرفوعُ المُفسَّرُ بِما بعدَهُ

دراسةٌ في الأنماطِ النّحويّةِ

م. عماد علوان حسين

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على خيرِ خلقِهِ أجمعين محمدٍ رسولِ ربّ العالمين، وآلِهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ، وأصحابِهِ الغرِّ الميامين حملةِ القرآنِ والدّينِ، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، أما بعدُ:

فإنّ هذه الدراسةَ تعالجُ أشكالاً تركيبيةً وأنماطاً نحويةً عرفتها العربُ فدرجتْ عليها واستعملتها في كلامِها قصداً لمعانٍ مرادةٍ ومقاصدَ مخصوصةٍ، إذ أنّ التراكيبَ تولدُ المعاني، والمعاني ترتبطُ بها ارتباطاً وثيقاً من خلالِ علاقةٍ عكسيةٍ تكافليةٍ يؤثر أحدُهما في الآخر، وهذه الأنماطُ ترتكزُ على تقديمِ ضميرِ الغائبِ في الكلامِ وتأخيرِ ما يفسِّره ويعودُ عليه لفظاً ورتبةً، فبالرغم من أنّ ضميرَ الغائبِ معرفةٌ إلا أنّه يمتاز عن غيرِه من الضمائرِ – أي ضمير المتكلم والمخاطب – بالإيغالِ في الإبهامِ، فتقديمُه في الكلام يؤدي إلى إشكاليةِ عدمِ الفهمِ عند السّامعِ، فكان لزاماً أنْ يؤتى بما يزيلُ عنه إبهامُه، ولا يكون ذلك إلا بظاهرٍ مستقلٍّ متأخرٍ عنه يوضحُه ويبينُ معناه .

إنّ أنماطاً محددةً بنيتْ وفقاً لقاعدةٍ خالفت القياسَ في اللغة مفادها أنّ (الإضمارَ مقدمٌ على الذكرِ) فارتكزتْ عليها، إذ خالفَ ضميرُ الغائبِ، وهو المحورُ المهم فيها، القواعدَ العامةَ للضمائرِ التي تخضعُ للأصلِ النحويّ المشهورِ القائلِ بأن (الذكرَ مقدمٌ على الإضمارِ)، فكان لها معنىً وتركيباً صدىً كبيرٌ عندَ العلماءِ والدارسين قديماً وحديثاً، فدرسوا أحكامَهفيها قبلَ وبعدَ التركيبِ، ومنهم سيبويه والفارسيّ وابنُ مالكٍ وأبو حيان وابنُ هشامٍ والسيوطيُّ، فحددوه من خلالِ الاستقراءِ والاستقصاءِ في سبعةِ أنماطٍ مقيدةٍ بهذه القاعدة .

لقد سلّطت الدّراسةُ الضّوءَ على أربعةِ أنواعٍ من ضميرِ الغائبِ جاء ركناً أساساً في أربعةِ أنماطٍ نحويةٍ خضعتْ للقاعدةِ أعلاه، كما أنّها بحثتْ في العلاقاتِ التركيبيةِ والدلاليّةِ والوظيفيّةِ بينَ ركنيها، إذ يشكلُ فيها الأولُ (ضمير الغائب) الحجرَ الأساسَ لها فدارتْ في فلكِه واعتمدتْ في بنيويتها عليه، ويحتل الثاني (المذكور بعده) أهميةً لا تقلّ عن الأول ؛ لما له من أثرٍ في إيضاحِ معنى الضميرِ وبيانِ ماهيتِه عندَ السّامعِ .

التمهيد

إنَّ الضّميرَ في الاستعمالِ اللغويّ يدلّ على صيغةٍ لفظيةٍ مفردةٍ بارزةٍ أو مقدرةٍ تحدّدُ طبيعةَ المسمِّيات وترتبط بتعيينها ذواتاً ومعانيَ في حال التّكلمِ والخطابِ والغيبةِ، وقد عُدَّ نوعاً من المكنيات– أي المبهمات – كأسماءِ الإشارةِ والموصولِ ؛ لأنّه لا يفصحُ عمّا يعبرُ عنهُ إفصاحاً واضحاً كاسمِ العلمِ[١] ؛ لذلك يوصفُ بأنّه :((لا يحتاجُ إلى حدٍّ ولا رسمٍ ؛ لأنّه محصورٌ))[٢]، كما عرِّفَ في الدَّرس النَّحويِّ الحديثِ بأنه كناياتٌ أو إشاراتٌ يشارُ بها إلى المتكلمينَ أو المخاطبينَ أو الغائبينَ[٣] .

ويستعملُ الضميرُ في اللغةِ بدل الاسمِ الظاهرِ كونه صيغةً متطورةً يعمدُ إليها المتكــلمُ لسببين مهمين، هما :

أولُهما: الإيجازُ والاختصارُ؛ لأنّه قد يُستغنى بالحرفِ الواحدِ منها عن الاسمِ الظّاهرِ بكاملِهِ، فيحلُّ محلَهُ ويؤدي معناه، فيُستغنى به عن تكرارِ ذلك الاسمِ في التراكيبِ والجملِ .

والثاني: إزالةُ اللبسِ والاشتراكِ؛ لأنّ الأسماءَ الظَّاهرةَ تتصفُ بكونِها كثيرةَ الاشتراك، فإذا قيل: محمدٌ قامَ محمدٌ، فربما توهمَ السّامعُ أنّ محمداً الأولَ غيرَ الثّاني ؛ لذلك يُؤتَى بالضّميرِ لإزالةِ هذا الالتباسِ ؛ لأنّه لا يلتبسُ ولا يشتركُ مع غيرِه في الكلامِ[٤] .

ولمــّا كان ينقسمُ إلى هذه الأقسامِ الثّلاثة إلى متكلمٍ ومخاطبٍ وغائبٍ لزِمَ تحديد ما يهمنا في هذه الدراسة، وهو ضمير الغائب، إذ خُصَّ عن الاثنينِ الآخرينِ – أي ضميرِ المتكلمِ وضميرِ المخاطبِ – بأنّه يكونَ

(١) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٢٠/١ .

(٢) ارتشاف الضرب ٩١١/٢ .

(٣) ينظر : النحو العربي قواعد وتطبيق ٤٧ .

(٤) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٢١/٣ .

مجهولاً مبهماً في الكلامِ لا يعرفُهُ المتلِّقي ولا يميِّزُهُ السَّامعُ إلا بذكر مُفسِّرِهِ مقدَّماً عليه أو مؤخَّراً، فكان بذلك أقلَّ فائدةً من نظيريه، أمّا الضّميران الآخران فيمكنُ تمييزُهما والتّعرُّفُ إليهما بالحضورِ والمشاهدةِ، فهما حاضرانِ مشاهدانِ وقتَ التَّكلمِ والخطابِ، فالمقصودُ منهما هو ((جعل المفهومِ معايناً للسَّامعِ أو في حكمِ المعاينِ))[1]، وعليهِ فإنَّ ضميرَ الغائبِ ينقسمُ قسمينِ، هما :

- ما لا يحتاجُ إلى تفسيرٍ؛ لأنَّ مفهومَهُ معلومٌ يبيِّنهُ سياقُ الكلامِ، كما في قولِهِ تعالى :﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾[2]، فالضميرُ (ها) يعودُ على الأرضِ[3] ؛ لأنَّ ((العلمَ بها وارتفاعَ اللبسِ فيها أغنى عن الذكرِ))[4].
- ما يحتاجُ إلى تفسيرٍ، وهو أيضاً قسمانِ :

❖ الأوّل: ما يفسِّرُهُ ما قبلَهُ، مثلُ : زيدٌ أكرمتُهُ .

❖ الثَّاني : ما يفسِّرُهُ ما بعدَهُ[5]، وهذا هو محور الدراسة .

إنَّ من أصولِ النَّحوِ التي أقرَّها النَّحويون إتيانَ الضَّميرِ متأخِّرِ الرُّتبةِ، فلا يتقدَّمُ في الذِّكرِ، ولا بدَّ أنْ يعودَ على مذكورٍ متقدِّمٍ قبلَهُ لفظاً ورتبةً، فإنَّ ((أصل المفسِّرِ في الضَّميرِ أنْ يكونَ ما يعودُ عليه متقدِّماً، وقد خالفَ هذا الأصلُ في مواضعَ))[6] حدَّدها النَّحويون في أبوابٍ

(١) شرح التسهيل لابن مالك ١٢٠/١ . وينظر : شرح جمل الزجاجي ١١/٢، ارتشاف الضرب ٩٤١/٢.

(٢) سورة فاطر : ٤٥ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز ٣٨١/٥، البحر المحيط ٢٥٦/٩ .

(٤) ينظر : القواعد والفوائد ٣٩٦ .

(٥) ينظر : شرح جمل الزجاجي ١١/٢– ١٢، شرح التسهيل لابن مالك ١٢٠/١ .

(٦) التذييل والتكميل ٢٥٢/٢ .

مخصوصةٍ وتآليف تركيبيةٍ محدودة ؛ لذلك عدُّوا ((الإضمار والتَّفسير على خلافِ القياسِ)) [١] .

إنّ من مرتكزاتِ وأسسِ التّأليفِ الجملي في العربيةِ قاعدّة مفادُها : لا إضمارَ قبلَ الذّكرِ، إذ الضّميرُ يدخلُ التركيب لأجلِ الاختزالِ ؛ لأنّه يُغني عن الاسمِ فيحملُ بذلك دلالةَ الحضورِ أو الغيبةِ، ويكونُ قد أحالَهُ على أحدِ مكوّناتِ التّركيبِ بمساعدةِ قرينةِ المقالِ أو المقامِ ؛ ولذلك وجبَ دوماً أنْ يتقدمَهُ داخلَ التّركيبِ أحدُ العناصرِ الاسميةِ فيكونُ مرجعاً له[٢].

لقد تنبَّهَ النَّحويون لهذه الأنماطِ أو التّراكيبِ المخالفةِ لأصولِهم شكلاً ووظيفةً وبنيةً فرصدُوها، وتتبَّعوا مواضعَها، وذكرُوا ما وقعَ فيها من خلافٍ واتفاقٍ مرجِّحين ما يوافقُ مذاهبَهم النَّحوية، وكان في طليعتِهم سيبويه، فقالَ في (باب ما لا يعملُ في المعروفِ إلا مضمرٌ) : ((بدؤوا بالإضمارِ ؛ لأنَّهم شرطُوا التَّفسيرَ، وذلك نوُوا، فجرَى ذلك في كلامِهم هكذا)) [٣] .

إذن فهو نمطٌ نحويٌّ وشكل تركيبي يُقدَّمُ فيه ضميرُ الغائبِ في صدرِ الكلامِ لفظاً ورتبةً، ويُؤخَّرُ ما يعودُ عليه لإزالةِ إبهامِهِ، ويُفسَّرُ بظاهرٍ مفرداً كان أم جملةً بحسبِ موضعِهِ الذي يردُ فيه، وغالباً ما يكونُ مرفوعاً، وقد يأتي مجروراً، وشرطُ ما يفسِّرُه أن يسدَّ مكانَهُ ويقومَ مقامَهُ؛ لأنَّه يبيِّنهُ ويرفعُ عنه إبهامُهُ .

ولرُبَّ سائلٍ يقول : لِمَ فُسِّرَ ضميرُ الغائبِ وتُرِكَ ضميرا المتكلمِ والمخاطبِ في اللغةِ؟

فالجوابُ : يُعزَى سببُ تفسيرِهِ دونهما إلى أنّ هذينِ الضّميرينِ حاضرانِ مشاهدانِ وقتَ التّكلم والخطابِ، فإذا ذُكرا لم يحتاجا إلى شيءٍ ؛

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٤٥٢/١ .

(٢) ينظر : الأسس المعرفية والمنهجية ٥٤١-٥٤٢ .

(٣) الكتاب ١٢٦/١.

لتوضيحِهما وبيانِهما، أمّا ضميرُ الغائبِ فلمّا كان مجهولاً مبهماً احتيج إلى شيءٍ يزيلُ عنه غموضَهُ ؛ ليتّضحَ المقصودُ عند السّامعِ، وهذا هو السّببُ الرّئيسُ للتّفريق بينَهما عندَ النّحاةِ كما ذكروا، فإنّ ((ضمير المتكلمِ وضمير المخاطبِ تفسّرُهما المشاهدةُ، وأمّا ضميرُ الغائبِ فعارٍ عن المشاهدةِ، فاحتِيجَ إلى ما يفسّرُهُ))[1] .

ويتألفُ هذا التّركيبُ الجملي من جزأينِ مهمينِ يكوّنانِ طرفيه، ولا يقومُ إلا بهما، فلا يذكرُ أحدُهما إلا ويذكرُ الآخرُ، وهما :

❖ **المفسَّرُ** – بفتح السِّين – **(ضمير الغائب)** : وهو الضَّميرُ الذي يأتي متصدراً في بدايةِ الجملةِ، ولا يكونُ إلا للغائبِ، قالَ ابنُ مالك : ((الأصلُ تقديمُ مفسِّرِ ضميرِ الغائبِ ...، ويقدَّمُ الضَّميرُ المكملُ معمول فعلٍ على مفسِّرٍ صريحٍ))[2].

❖ **المفسِّرُ** – بكسر السِّين – **(المذكور ما بعده)** :، وهو الجزءُ الظَّاهر المصرَّح به الذي يأتي متأخراً بعدَ ضميرِ الغائب في الكلام ؛ لتفسيرِهِ وبيانِهِ ؛ ((لأنَّ المضمرَ أبهمُ من المظهرِ))[3]، وينقسمُ إفراداً وتركيباً على قسمينِ، هما[4]:

<u>الأوّلُ:</u> المفردُ (الكلمةُ النّحويةُ)، مثل: نِعْمَ طالباً محمدٌ .

<u>الثّاني:</u> المركبُ (الجملةُ)، كقوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[5].

وممّا تجدرُ الإشارةُ إليه أنَّ النَّحويينَ تتبعُوا هذا النوع من الضّمائرِ وبيَّنوا أحكامَهُ، وقيَّدوهُ بأشكالٍ تركيبيةٍ مقولبةٍ، إلا أنَّه تباينتْ أقوالُهم فيها، فذكرهُ سيبويه في ثلاثةِ مواضعَ تركيبية، هي : ضميرُ الشَّأن،

---

(١) التذييل والتكميل ٢٥٢/٢ .

(٢) شرح التسهيل لابن مالك ١٥٦/١، ١٥٩ .

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ٤٣٨/١ .

(٤) ينظر : شرح جمل الزجاجي ١١/٢ .

(٥) سورة الإخلاص : ١ .

والضَّمير المرفوع في بابِ نعم وبئس وشبهِهما، والضَّمير المجرور بـــ (رب)[١]، وتبعَهُ الفارسيُّ[٢]، وحصرهُ ابنُ عصفور في خمسةٍ فقط، فلم يذكرْ فيها الموضعينِ الأولِ والثالثِ[٣]، وخصَّصهُ أبو حيان في ستةٍ منها، ولم يجزْ الموضعَ الثالث [٤]، وزادهُ ابنُ مالكٍ عليها، ووافقَهُ ابنُ هشامٍ والسّيوطيُّ[٥]، وفيه خلافٌ بينهم، وهي :

- **الأوّل:** في بابِ الفاعلِ، وهو الضّميرُ المضافُ للفاعلِ المقدّمِ ومفسِّرُهُ المفعولُ به المؤخَّرُ، مثل : ضربَ غلامُهُ زيداً .
- **الثّاني :**في بابِ المبتدأ والخبرِ، وهو ضميرُ الشّأنِ والقصّةِ المفسِّرُ بجملةٍ، كما في قولِهِ تعالى:﴿ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٦]،ومثلُهُقولُهُ تعالى:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[٧] .
- **الثّالث :** في بابِ المبتدأ والخبرِ، وهو الضّميرُ المرفوعُ المفسَّرُ بخبرِهِ، كما في قولِهِ تعالى:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾[٨] .
- **الرّابع :** في بابِ (نعمَ وبئسَ) وشبههما، وهو الضّميرُ المرفوعُ فاعلاً المفسَّرُ بمفردٍ نكرةٍ بعدَهُ، مثلُ : نعمَ عالماً الشّيخُ، ومثالُ ما

---

(١) ينظر : الكتاب ١٢٧/١ .

(٢) ينظر : التعليقة ٣٢٣/١ .

(٣) ينظر : شرح جمل الزجاجي ١١/٢ .

(٤) ينظر : ارتشاف الضرب ٩٤٦/٢-٩٤٧، التذييل والتكميل ٢٦٧/٢، البحر المحيط ١٣٥/١ .

(٥) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٢/١ وما بعدها، مغني اللبيب ٦٣٦/٢، الأشباه والنظائر ٥١/٢ .

(٦) سورة سبأ : ٢٧ .

(٧) سورة طه : ١٠ .

(٨) سورة المؤمنون : ٣٧ .

جرَى مجراهما قولُهُ تعالى :﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[1] .

- **الخامس:** في بابِ البدلِ : وهو الضّميرُ المبدلُ منه اسمٌ ظاهرٌ، مثلُ : أكرمتُهُ محمداً .
- **السّادس :** في بابِ التّنازعِ : وهو الضّميرُ المرفوعُ بأوّلِ العاملينِ المتنازعينِ، مثلُ : أكرموني وأكرمتُ الطلابَ .
- **السّابع :** في بابِ حروفِ الجرِّ : وهو الضّميرُ المجرورُ بـــ (ربَّ) مفسَّراً بنكرةٍ، مثلُ : ربَّهُ رجلاً .

إنّ هذه الأشكالَ المحصورةَ آنفة الذكر التي يتقدّمُ فيها الضّميرُ على مرجعِهِ هي التي يرادُ بها عندَ علماء النّحو ما يسمّى (المضمر على شريطةِ التّفسيرِ)، إذ يضمرُ الاسمُ لدلالةِ ما قبلَهُ عليه، أما كلُّ التّراكيبِ الأخرى في العربيةِ فتخضعُ لقاعدةِ عدمِ الإضمارِ قبلَ الذّكرِ[2]

ويكونُ ترسيمُ تلك الأشكالِ على النّحو التالي :

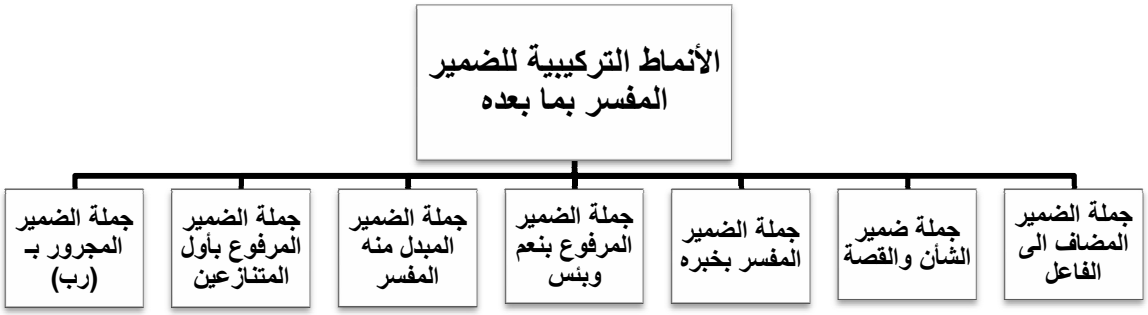

وختاماً عندَ تتبعِ كلٍّ من المفسَّرِ (ضميرِ الغائبِ) والمفسِّرِ (المذكورِ) ممّا سبقَ نستطيعُ أن نضعَ شروطاً عامّةً تحكمُهما وتضبطُ

(١) سورة غافر : ٣٥ .

(٢) ينظر : الأسس المعرفية والمنهجية ٥٤٣ .

مجيئِهما في الكلامِ، **فيشترطُ في المفسَّرِ (- أي - الضّميرِ)، وهو الطّرفُ الأوّلُ من تراكيبِ الجملِ أعلاه، ما يلي :**

١) أنْ يكونَ الضّميرُ للغائبِ لا للمخاطبِ ولا للمتكلمِ ؛ لما ذكرَ بأنّه لمّا كان مبهماً غامضاً كانَ لا بدَّ من شيءٍ يرفعُ عنه هذا الإبهامَ والغموضَ .

٢) أنْ يكونَ متقدّماً في التّركيبِ الجملي لفظاً ورتبةً عائداً على ظاهرٍ متأخرٍ لفظاً ورتبةً .

٣) قد يكونُ متصلاً أو منفصلاً، مستتراً أو ظاهراً، مذكراً أو مؤنثاً .

٤) لا يكون الضّميرُ إلا مرفوعاً أو منصوباً في ما أصلُهُ مبتدأٌ وخبرٌ، كما في: ضميرِ الشّأنِ، والضّميرِ المفسِّرِ بخبرِهِ، والضّميرِ في (نعم وبئس) وشبهِهما، وفي بابِ التّنازعِ، ولا مجروراً بالإضافة إلا في الفاعلِ المقدّمِ على مفعولِهِ، ولا مجروراً بحرف الجر الا في (رُبَّ) الجارةِ .

٥) لا يتبعُ بوصفٍ أو تأكيدٍ أو بدلٍ قبلَ ذكرِ مفسِّرِهِ .

أمّا أبرزُ ما يشترطُ في الطّرفِ الثّاني منها، وهو المفسِّرُ (- أي - المذكورُ)، ما يأتي :

١) أنْ يكونَ ظاهراً غيرَ مضمرٍ، فإنّ المضمرَ لا يفسَّرُ بالمضمرِ .

٢) يجبُ فيه أنْ يتأخرَ عن ضميرِ الغائبِ لفظاً ورتبةً .

٣) ينقسمُ على قسمين، هما : مفردٌ أو جملةٌ، فالمفردُ يقع في ستةِ مواضعَ نكرةً كان أم معرفةً .

٤) يقعُ جملةً مع ضميرِ الشّأنِ والقصّةِ فقط، فيشترطُ فيها حينئذٍ أن تكونَ خبريةً صريحةَ الجزأين، فلا يجوزُ حذفُ أحدِ جزأيها ؛ لأنَّ الضّميرَ مؤكدٌ لمضمونِ الجملةِ .

٥) يجبُ أنْ يتّصفَ بالاستقلاليةِ، فليسَ له تعلقٌ بما قبلَهُ .

٦) يجبُ أن يتحصّلَ به الإيضاحُ وإزالةُ الإبهامِ عن ضميرِ الغائبِ .

المطلبُ الأولُ
ضميرُ الشَّأنِ والقِّصّةِ

❖ **تعريفُهُ** :

لم يضعْ علماءُ العربيةِ له تعريفاً اصطلاحياً واضحاً ولم يضبطُوه بضابطٍ يقيدُهُ، إلا ما يفهمُ من كلامِهم بأنّه : ضميرٌ غائبٌ ملازمٌ للإفرادِ، يكّونُ جزءاً من شكلٍ تركيبيٍّ لغويٍّ وطرفاً في قالبٍ نحويٍّ محدّدٍ، يميزُ عن غيرِهِ بأحكامٍ مشروطٍ فيها أنْ يفسرَ بجملةٍ خبريةٍ صريحةٍ اسميةٍ أو فعليةٍ، ويجبُ عودُهُ على متأخرٍ لفظاً ورتبةً، وتفيدُ دلالةُ صياغةِ الكلامِ على هذا النّظم أنْ يعظّمَ السّامعُ قصدَ المتكلمِ أثناءَ كلامِهِ(١).

إنّ وقوعَهُ في تركيبٍ مخالفٍ للأصولِ النّحويّةِ يمكّنُ (إنَّ وأنَّ) المختّصتينِ بالجملةِ الاسميةِ من الدخولِ علىالجملةِ الفعليةِ، وهذا يشهدُ بمزيّةِ اللغةِ العربيةِ عن غيرِها من اللغاتِ السّاميةِ، إذ طوّرت العربيةُ قاعدةً ألحقتْ (إنَّ) وأخواتها بالجملةِ الفعليةِ، وقلبتْها إلى الاسميةِ بغيرِ تغييرِ تركيبِها ؛ لذلك أمكنَ إلحاقُ (إنَّ) وأخواتها بالجملِ الفعليةِ بواسطةٍ غيرِ مباشرةٍ(٢) .

كما أنّ مخالفتَهُ للأحكامِ العامّةِ للضّمائرِ جعلَهُ حالةً مخصوصةً لا ينبغي الالتجاءُ إليها إذا أمكنَ اعتبارُهُ في الجملةِ نوعاً آخرَ من الضّمائرِ؛ لأنّه لا يجوزُ الحملُ عليه إذا كان غيرُهُ موافقاً للقياسِ، أمّا إذا كان غيرُهُ مخالفاً للقياسِ وتساويا بخروجِهما عن القياسِ فيجوزُ حملُ الكلامِ عليه(٣).

---

(١) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٣/١، التكميل والتذييل ٢٧١/٢، مغني اللبيب ٦٣٦/٢، حاشية الدسوقي ١٠٢١/٢ .

(٢) ينظر : التطور النحوي ١٣٩-١٤٠ .

(٣) ينظر : حاشية الدسوقي ١٠٢٣/٢ .

وهذا الرّسمُ التّخطيطيُّ يوضّحُ شكلَ التّركيبِ اللغويّ الذي يرتكزُ عليه ضميرُ الشّأنِ والقصّةِ

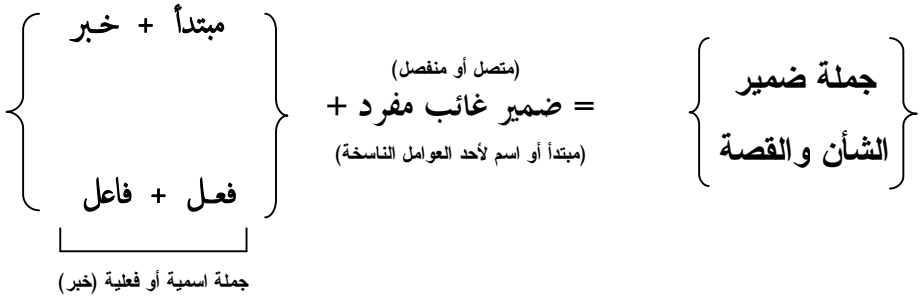

❖ **الخلافُ في تسميتِه واسميتِه :**

تعددتْ آراءُ النّحويين وأقوالُهم فيه، فانقسمُوا فريقينِ، فاصطلحَ عليه فريقٌ بـــ (ضميرِ الشّأنِ أو الأمرِ أو الحديثِ والقصّةِ)، وهم البصريونَ، إذ أوّلوه بالأمرِ أو الشّأن إذا كانَ مذكراً، والقصةِ إذا كان مؤنثاً، ويرجعُ ذلك إلى معنى الجملةِ، فإنّه يكونُ في تأويلِ الشّأنِ أو القصّةِ ؛ لكي تتوائمَ الجملةُ المخبرُ بها عنه مع معنى الكلامِ تذكيراً وتأنيثاً[١] ؛ لأنّهم نظرُوا إلى الجملةِ بعدَهُ فقدّرُوا ما يناسبُها من حيثِ المعنى، فقدّرُوه بالشّأنِ إذا كانتِ الجملةُ تؤولُ بالمذكرِ، وبالقصّةِ إذا كانتْ تؤولُ بالمؤنثِ[٢] .

واصطلحَ عليه فريقٌ آخرُ بـــ (المجهولِ)، وهم الكوفيون، وقد سمّاه الكسائيّ والفرّاءُ عماداً، وعلّلوا ذلك : بأنّه لا يعرفُ ما يعودُ عليه ؛ لأنّ مرجعَهُ متأخرٌ لفظاً ورتبةً في الكلامِ، كما أنّه مبهمٌ مقدّرٌ معناه بما بعدَهُ ينتظرُ السّامعُ أنْ يفسّرَهُ المتكلمُ[٣] .

---

(١) ينظر : المقتضب ٩٣/٤، التعليقة ١٠٦/١، شرح جمل الزجاجي ٤١١/١ .

(٢) ينظر : الإيضاح في شرح المفصل ١/ ٤٥٠ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء ٢٨٧/٢، ٢٩٩/٣، شرح المفصل لابن يعيش ٦٥/٣، شرح الكافية للرضي ٢/ ٤٦٦

وكما اختلفُوا في تسميتِهِ اختلفُوا أيضاً في اسميتِهِ، فذهبَ الجمهورُ إلى أنّه اسمٌ، ويعربُ بحسبِ موقعِهِ إعرابياً لدخولِ العواملِ عليه وتأثيرها فيه رفعاً ونصباً، وذهبَ ابنُ الطّراوةِ إلى أنّه حرفٌ لا محلَّ له من الإعرابِ، يكفُّ العواملَ الداخلةَ على ما أصلُهُ مبتدأٌ وخبرٌ عن العملِ، وردَّ عليه بأنّه لم تثبتْ حرفيةُ الضّميرِ عندَ علماءِ العربيةِ[١] .

❖ **أحكامُهُ :**

يمتازُ ضميرُ الشّأنِ والقصّةِ بخصائصَ وميزاتٍ انفردَ بها عن بقيةِ الضّمائرِ الأخرى، وقد خالفَ الأصولَ النحوية للضمائر، ومخالفتُهُ تتأتى ممّا يلي[٢] :

١- أنّه يكونُ كنايةً عن الخبرِ الذي يفسّرُهُ .

٢- أنّهُ يعودُ على ما تأخرَ لفظاً ورتبةً .

٣- لا يجوزُ أنْ يتقدّمَ مفسرُهُ أو جزءٌ منهُ عليهِ ؛ لأنّ معناهُ يتبينُ بمفسِّرِهِ.

٤- أنّه لا يُؤتى به إلا في مواضعِ التّفخيمِ والتّعظيمِ عند النحاة، إلا أن معانيه تتعدد بحسب أغراض المتكلم ومقاصده، كما سنرى لاحقاً .

٥- لا يفسّرُ بمفردٍ، بل بجملةٍ، وهو بهذا لا تشاركُهُ الضّمائرَ الأخرى .

٦- يلازمُ الإفرادَ مذكراً أو مؤنثاً، فلا يكونُ مثنىً ولا مجموعاً ؛ ((لأنَّه كنايةٌ عن الشّأنِ في التّذكيرِ وعن القصّةِ في التّأنيثِ، وهما مفردانِ فوجبَ إفرادُ ما هو كنايةٌ عنهما)) [٣] .

٧- يتّصفُ بكونِهِ لا يعطفُ عليه ولا يؤكدُ ولا يبدلُ منه، قالَ سيبويه : والمضمرُ المقدّمُ على مفسّرِهِ لا يوصفُ ولا يؤكدُ [٤] .

---

(١) ينظر : ارتشاف الضرب ٩٤٧/٢، التكميل والتذييل ٢٧١/٢ ..

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٤/٣-٦٥، شرح الكافيـــة للرضـــي ٤٦٤/٢، مغني اللبيب ٦٣٦/٢ – ٦٣٧ .

(٣) شرح التسهيل لابن مالك ١٦٤/١ .

(٤) ينظر :الكتاب ٣٠١/١ .

❖ **أحكام مُفسِّره :**

بيّنتْ كتبُ النّحوِ أحكاماً لمفسِّرِ ضميرِ الشّأنِ والقصّةِ، وعندَ النّظرِ إليها نظرةً فاحصةً نستنتجُ منها بأنّه – أي المفسِّرُ – يختلفُ عن المفسِّراتِ الأخرَ ويفترقُ عنها افتراقاً كليّاً، إذ يعدُّ صورةً متميزةً من صورِ خبرِ المبتدأ، وينطبقُ عليها ما لا ينطبقُ على صورِ الخبرِ الأخرى، ومن خلالِ ما تتبعناه يمكنُ أنْ نضعَ شروطاً له، وأهمها هي[1] :

١- أنْ يكونَ ظاهراً، فلا يجوزُ تفسيرُ المضمرِ بمضمرٍ آخرَ .

٢- أنْ يتأخرَ لفظاً ورتبةً، فلا يجوزُ تقدمُهُ أو جزءٌ منه عليه .

٣- أنْ يكونَ جملةً خبريةً تامّةَ المعنى، فلا يجوزُ أنْ تكونَ إنشائيةً طلبيةً أو غيرَ طلبيةٍ .

٤- أن يعرب خبراً عن الضّميرِ أو خبراً للعواملِ النّاسخةِ الداخلةِ عليها .

٥- أنْ يصرّحَ بجزأيها فعليةً كانتْ أم اسميةً، فلا يجوزُ حذفُ أحدِ ركنيها عند البصريين ؛ لأنّها تفيدُ تعظيمَ الضّميرِ وتفخيمِهِ .

٦- أنّ الجملةَ بعده تكونُ مستقلةً استقلالاً كاملاً، فلا تحتاجُ إلى رابطٍ يربطُها به ؛ لأنّها نفسُ المبتدأِ في المعنى .

❖ **حالاتُهُ (أي الضّمير) بارزاً :**

تتعددُ حالاتُ ضميرِ الشّأنِ التي يظهرُ بها وجوباً، وهي مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بمحلِّه إعرابياً، وهي :

أولاً : يبرزُ مرفوعاً منفصلاً، ويعربُ ضميراً في محلِّ رفعٍ [2] :

---

(١) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٦٤-٦٥، التكميل والتذييل ٢/٢٧٤، مغني اللبيب ٣/٦٣٧، ٦٥٢.

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١/١٦٦، ارتشاف الضرب ٢/٩٥٠، التكميل والتذييل ٢/٢٨١ .

أ- **مبتدأ إذا جاءَ في صدرِ الكلامِ منفصلاً بارزاً**، وما بعدَه جملةٌ خبرٌ عنه، وهذا عند الجمهور، وخالفَ في ذلك الاخفشُ والفراءُ، واشترطا أنْ يكونَ معمولاً لــ (كان) و (إنّ) وأخواتهما(١).

ومن أمثلتِهِ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٢)، فــ ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ أوّلٌ بمعنى : الأمرِ والحديثِ والشّأنِ، و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ ثانٍ، و﴿أَحَدٌ﴾ خبرٌ للمبتدأِ الثّاني، والجملةُ بعدَهُ جملةٌ صغرى، خبرٌ جيء به تفسيراً له للتّعظيمِ(٣) .

ومثلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾(٤)، فالضّميرُ ﴿هُوَ﴾ في محلِّ رفعٍ مبتدأٌ ضميرُ الشّأنِ والأمرِ، والجملةُ ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبرُ المبتدأِ(٥) .

ب- **ويعربُ كسابقِهِ إذا جاءَ مسبوقاً بــ (إنْ) المكسورة المخفّفة**، وهي نافيةٌ كــ (ليس) و (ما) غيرُ عاملةٍ، وقد سبقَ الخبرُ بــ (إلا)، مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾(٦)، فــ ﴿إِنْ﴾ نافيةٌ غيرُ عاملةٍ، و﴿هِيَ﴾ ضميرُ القصّةِ مبتدأٌ، و﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ خبرٌ وصفتُهُ(٧) .

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ٥١/١، همع الهوامع ١٧/١ .

(٢) سورة الإخلاص : ١ .

(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٨٥٢/٢، الدر المصون ١٤٩/١١ .

(٤) سورة البقرة : ٨٥ .

(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١٠٣/١، البحر المحيط ٢٩٢/١ .

(٦) سورة الأنعام : ٢٩ .

(٧) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢٣٩/١، الدر المصون ٥٩٣/٤ .

ت- وكذلك يعربُ مبتدأً إذا جاء بعدَ (ما) العاملةِ عملَ (ليس)، وقد انتقضَ خبرُها بـــ (إلا)، كما في قولِهِ تعالى ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، ومنه قولُ الشَّاعرِ :

وما هي إلا شَربةٌ بالحوأْبِ فصعِّدي من بعدِها أو صَوِّبي[2]

ث- ويعربُ أيضاً مبتدأً إذا جاءَ مسبوقاً باستفهامٍ غيرِ حقيقيٍّ، وكانَ حرفُ الاستفهامِ (هل)، وقد أريدَ به النَّفيُ، وقد جاءتْ (إلا) قبلَ جملةِ الخبرِ، كما في : هل هو إلا محمد قائم .

ج- واسماً لـــ (ما) النّافيةِ العاملةِ عملَ (ليس)، إذ تعملُ فيما أصلُهُ مبتدأٌ وخبرٌ، فيكونُ معها ضميرُ الشَّأنِ والقصّةِ منفصلاً بارزاً ، كما في قولِ الشّاعرِ :

وما هو مَنْ يأْسُو الكُلُومَ ويتَّقِي به نائباتِ الدَّهرِ كالدَّائمِ البخلِ[3]

ثانياً : يبرزُ منصوباً متّصلاً، ويعربُ ضميراً في محلِّ نصبٍ [4] :

أ- اسماً لـــ (إنَّ) المكسورة المشدَّدة في محلِّ نصبٍ، والأصلُ فيه أنْ يكونَ مذكوراً مثلَ قولِهِ تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5]، وكقولِ الشّاعرِ :

ألا إنَّه مَنْ يلغُ عاقبةَ الهَوى مطيعُ دواعِيهِ يبُؤْ بهوانِ[6]

ويجوزُ حذفُهُ في الشَّعرِ حصراً، كقولِهِ :

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤ .

(٢) قائله الراجز، ينظر : تهذيب اللغة ٢٧٠/٥، اللسان (حأب) .

(٣) قائله مجهول، وهو من الطويل، ينظر : الدرر اللوامع ٤٦/١ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٦/١، ارتشاف الضرب ٩٥١/٢، رصف المباني ١٩٩ .

(٥) سورة النمل : ٩ .

(٦) قائله مجهول، وهو من الطويل، ينظر : الدرر اللوامع ٤٦/١ .

إنَّ مَنْ يَدخلِ الكَنيسةَ يوماً يلقَ فيها جآذراً وظِباء[1]

ويعللُ تقديرُ اسمِ (إنّ) ضميراً للشَّأنِ في البيتِ أعلاه، إذ التقدير : إنّه مَنْ ... ؛ لسببينِ اثنينِ، هما[2] :

- دخولُ (إنّ) على اسم الشَّرطِ (مَنْ) الذي يتمتعُ بخاصيةِ التّصدّرِ في الكلامِ .
- عدمُ تأثرِهِ بـــ (إنّ) عملاً ؛ لأنَّ العواملَ اللفظيةِ السّابقةِ له لا تؤثرُ فيه .

ب- اسماً لـــ (أَنَّ) المفتوحة المشدَّدة في محلِّ نصب، وهذا والذي قبلَهُ مطّردٌ فيه، وقد وردا كثيراً في القرآنِ الكريمِ والشّعرِ .

كقولِهِ تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾[3]، ومنه قولُ الشّاعر :

على أنَّها لا تعفُو الكَلومَ، وإنَّما نوكَلُ بالأَدْنى، وإنْ جل ما مضَى[4]

((والشَّاهدُ فيه قولُهُ : (على أنّها ...) على تأنيثِ القصّةِ، أيْ: على أنَّ القصّةَ تعفُو الكلومَ ...، والمرادُ أنَّ الكلومَ والمصائبَ قد تُنسى، وإنّما نوكلُ منها بما يقربُ حدوثَهُ، وإنْ كانَ ما مضى منه جليلاً)) [5] .

ت- مفعولاً به لـــ (ظنّ) وأخواتِها، قالَ الشّاعرِ :

علِمْتُهُ الحقَّ لا يخفَى على أَحدٍ فكُنْ محقَّاً تنلْ ما شئتَ من ظَفَرِ[6]

---

(١) قائله الأخطل، وهو من الطويل، ينظر : ديوانه ٢٧٦ .

(٢) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٦/٣ .

(٣) سورة الجن : ١٩ .

(٤) قائله أبو خراش الهذلي، وهو من الطويل، ينظر : ديوان الهذليين ١٥٨/٢ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ٦٨/٣ .

(٦) قائله العجير السلولي، وهو من البسيط، ينظر : الكتاب ٧١/١، خزانة الأدب ٧٢/٩ .

❖ **حالاتُهُ (أي الضّمير) مستتراً :**

أولا : يستترُ في محلِّ رفعٍ فيما يلي[١] :

أ- **اسماً لــ (كان)**[٢] : إذا دخلتْ على فعلٍ بعدَها، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ... ﴾[٣]، فيجوزُ في أحدِ وجهين أنْ يكونَ اسمَ (كان) ضميرَ شأنٍ مقدّرٍ، و﴿ كَبُرَ ﴾ فعلٌ لازمٌ، وفاعلُهُ ﴿ إِعْرَاضُهُمْ ﴾، والجملةُ الفعليةُ خبرٌ لــ (كان)، ومثلُهُ قولُهُ تعالى:﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾[٤]، وقولُهُ تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾[٥]، أو دخلتْ على اسمينِ مرفوعينِ بعدَها، كما في قولِهِ :

إذا مُتُّ كانَ النّاسُ صِنفانِ شَامتٌ وآخرُ مُثْنٍ بالذي كُنْتُ أَصنَعُ[٦]

أضمرَ في (كان) ضميرَ الشَّأنِ والحديثِ، وجملةُ (النّاسُ صنفانِ) مبتدأٌ وخبرٌ، والجملةُ اسميةٌ جاءتْ بعدَهُ تفسيراً له[٧] .

---

(١) ينظر : شرح الكتاب للسيرافي ١ /٣٥٢، شرح التسهيل لابــن مالــك ١٦٦/١، ارتشاف الضرب ٩٥٢/٢

(٢) اختلف النحاة في التركيب (كان زيد قائم)، فأجاز الجمهور استتار ضمير الشــأن اسماً لــ (كان)، وحملت الآيات أعلاه على الإضمار، وأنكــره الفــراء، ينظــر : الكتاب: ١٥/١، ارتشاف الضرب ٩٥١/٢، همع الهوامع ٦٧/١ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٥ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٧ .

(٥) سورة الجن : ٥ . ينظر إعراب الآيات أعلاه في : البحر المحيط ٤١٥/٦، الــدر المصون ٦٠٨/٤ .

(٦) قائله أبو خراش الهذلي، وهو من الطويل، ينظر : ديوان الهذليين ١٥٨/٢ .

(٧) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٦/٣ .

أو دخلتْ على حرفِ (قد) كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ﴾[1]، فاسمُ (يكونُ) ضميرُ شأنٍ مقدّرٍ في أحدِ قولين، و﴿قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ﴾ حرفُ تحقيقٍ وفعلٌ وفاعلٌ، والجملة خبرٌ لها .

ب- اسماً لــ (ليس) : قدّروا في (ليسَ الطيبُ إلا المسكُ) أنْ يكونَ اسمُها ضميرَ شأنٍ مستترٍ، وما بعدَه جملةٌ اسميةٌ خبرُ (ليس)[2]، وقد جاءَ في الشّعرِ ضميرُ الشّأنِ مستتراً اسماً لها، والجملةُ الاسميةُ بعدَها خبرُها[3]، كقولِ الشّاعر :

هي الشِّفاءُ لدَائي لو ظفرْتُ بِها وليسَ منها شفاءُ الدَّاءِ مبذُولُ[4]

وكذلك قدّروا ضميرَ الشّأنِ اسمَ (ليسَ) في قولِهم : (ليسَ خلقَ اللهُ مثلَه)، والجملةُ بعدَها خبرٌ لها ؛ لأنَّ (ليسَ) فعلٌ جامدٌ، و(خلقَ) فعلٌ، والفعلُ لا يؤثرُ في الفعل عملاً، فتعيّنَ من إضمارٍ يرتفعُ به ؛ فلذلكَ قدروا ضميرَ الشأنِ اسماً لها[5] .

ت- اسماً لــ (كاد) : يستترُ فيها ضميرُ الشّأنِ إذا دخلتْ على فعلٍ آخرَ[6]، وخرِّجتْ عليه قراءةُ مَنْ قرأَ قولَهُ تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾[7] بالياء في ﴿يَزِيغُ﴾[8]، فقدِّرَ ضميرَ

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٥ . ينظر إعرابها في : الدر المصون ٥٢٧/٥ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣٧٩/١ .

(٣) ينظر : الكتاب ١٥/١، المقتضب ١٠١/٤، شرح أبيات سيبويه للنحاس ٤٠ .

(٤) قائله هشام بن عقبة، وهو من البسيط، ينظر : الكتاب ٧١/١، مغني اللبيب ٣٨٩/١ .

(٥) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٦٦/٣، مغني اللبيب ١/ ٨٣، ٣٨٨ .

(٦) ينظر : الكتاب ٤٧٨/١، التكميل والتذييل ٢٨٣/٢.

(٧) سورة التوبة : ١١٧ .

(٨) قرأه حمزة وحفص عن عاصم بالياء على التذكير، والباقون بالتاء على التأنيث، ينظر : النشر ٢٨١/٢، شرح طيبة النشر ٢٤٧ .

الشّأنِ اسماً لــ ﴿كَادَ﴾، و﴿يَزِيغُ قُلُوبُ﴾ فعلٌ وفاعلٌ، جملةٌ فعليةٌ في محلِّ نصبٍ خبرٌ لها، ولا يجوزُ رفعُ ﴿قُلُوبُ﴾ اسماً لــ ﴿كَادَ﴾[1] ؛ لأنّنا ((لو جعلْنا ﴿قُلُوبُ﴾ اسمَ ﴿كَادَ﴾ لزِمَ أنْ يكونَ ﴿يَزِيغُ﴾ خبراً مقدّماً، فيلزمُ أنْ يرفعَ ضميراً عائداً على ﴿قُلُوبُ﴾، ولو كانَ كذلك للزِمَ تأنيثُ الفعلِ ؛ لأنّه حينئذٍ مسندٌ إلى مؤنثٍ مجازيٍّ ؛ لأنَّ جمعَ التّكسيرِ يجري مجرى المؤنثةِ مجازاً)) [2] .

ثانياً : يستترُ في محلِّ نصبٍ فيما يلي[3] :

أ- اسماً لــ (أَنْ) المفتوحة المخفَّفة، ويتحتّمُ استتارِهِ إذا جاءَ بعدَها ما يلي :

- جملةٌ اسميةٌ : كقولِهِ تعالى ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] .
- أو (لا) النافيةُ للجنسِ : كقولِهِ تعالى ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[5] .
- أو فعلٌ مسبوقٌ بــ (لا) النّافيةِ غيرِ العاملةِ :كقولِهِ تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[6]
- أو فعلٌ جامدٌ غيرُ متّصرفٍ : كقولِهِ تعالى ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾[7] .

---

(١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٣٣٧/١، البحر المحيط ١٠٩/٥ .

(٢) الدر المصون ١٣٣/٦ .

(٣) ينظر : رصف المباني ١٩٣، ٢٨٦، الجنى الداني ٢١٥، ٥٧٤-٥٧٦ .

(٤) سورة يونس : ١٠ .

(٥) سورة هود : ١٤ .

(٦) سورة طه : ٨٩ .

(٧) سورة الأعراف : ١٨٥ .

- أو جملةٌ فعليةٌ مصدّرةٌ بحرفِ (قد) : كقولِهِ تعالى ﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾[1] .
- أو جملةٌ فعليةٌ مصدّرةٌ بحرفِ (لو) : مثل ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ ﴾[2]
- أو فعلٌ مضارعٌ مسبوقٌ بحرفِ تنفيسٍ : كقولِهِ تعالى ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾[3]
- أو فعلٌ مضارعٌ مسبوقٌ بحرفِ (لن) : كقولِهِ تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾[4]
- أو فعلٌ مضارعٌ مسبوقٌ بحرفِ (لم) : كقولِهِ تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾[5] .

ب- اسماً لـــ (كأنْ) المخفَّفة، ويكونُ مستتراً إذا دخلتْ على :

- جملةٍ فعليةٍ مسبوقةٍ بـــ (لم) : كقولِهِ تعالى ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[6] .
- أو جملةٍ فعليةٍ مسبوقةٍ بـــ (قد)، كقولِ الشّاعرِ :

لا يهُولنَّك اصطِلاءَ لَظى الحَرْ ... بِ فمحذورُها كأنْ قدْ ألمَّا[7]

- أو جملةٍ اسميةٍ، كقولِ الشَّاعرِ :

---

(١) سورة المائدة : ١١٣ .

(٢) سورة سبأ : ١١٤ .

(٣) سورة المزمل : ٢٠ .

(٤) سورة القيامة : ٣ .

(٥) سورة البلد : ٧ .

(٦) سورة يونس : ٢٤ .

(٧) قائله مجهول، وهو من الخفيف، ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢/٤٥ .

ووجهٍ مشرق النّحرِ كأنْ ثدياهُ حُقَّانِ (١)

- أو جملةٍ شرطيةٍ، كقولِ الشّاعرِ :

ويْ كأنْ مَنْ له نُشبٌ يُحْـ ـبِبْ ومَنْ يفتَقِرْ يعِشْ عَيْشَ ضُرِّ(٢)

- أو اسمٍ مفردٍ مرفوعٍ يكونُ خبراً لها، كما في قولِهِ :

ويوماً تُوافِينا بوجهٍ مُقَسّمٍ كأنْ ظَبيةٌ تعطُو إلى وارِقِ السَّلَمِ(٣)

❖ **<u>دلالاتُهُ ومعانيه :</u>**

تتغيرُ دلالاتُ ضميرِ الشّأنِ والقصّةِ وتتنوعُ معانيهِ بحسبِ قصدِ المتكلمِ ومرادِهِ في الخطابِ والنّصِّ اللغويينِ في تأليفِ التّراكيبِ الجمليةِ بما يكفلُ إثارةَ السّامعِ واستنهاضَ حواسِّهِ من خلالِ افتتاحِ الجملةِ بضميرِ الغائبِ، إذ الافتتاحُ به – وهو اسمٌ مكنيٌّ مبهمٌ – يجعلُ النّفوسَ متشوقةً لمعرفةِ ما بعدَهُ ومنتظرةً إزالةَ إبهامِهِ بتفسيرِهِ بجملةِ الخبرِ، وقد جعلَ المفسّرونَ صياغةَ الكلامِ على هذا النّظمِ من الأشكالِ التّركيبيّةِ مفصحةً عن معانٍ كثيرةٍ، فلم يقتصروها – كما النّحاة – على التّعظيمِ والتّفخيمِ، بل توسّعُوا فيها وذكرُوا غيرَها، وأهمُّ تلك الدّلالاتِ والمعاني التي يدلُّ عليها هي :

١- **<u>الاهتمامُ بالخبرِ والعنايةُ به :</u>** فربما يقصدُ من استعمالِهِ إبرازُ أهميةِ ما يفسّرُه وإظهارُ قيمةِ الخبرِ لدى السّامعِ ؛ لأنّ مقتضى الكلامِ يحتاجُ إلى هذا الاهتمامِ من المتكلمِ، ومّما جاءَ لهذا المعنى :

---

(١) قائله مجهول، وهو من الهزج، وروي أيضاً بنصب (ثدياه) اسم (كأن)، ينظر : الكتاب ١٣٥/٢، الدرر اللوامع ١٢٠/١

(٢) قائله زيد بن عمرو، وهو من الخفيف، ينظر : الكتاب ١٣٥/٢، خزانة الأدب ٩٥/٣ .

(٣) ينسب إلى علباء بن أرقم اليشكري، وهو من الطويل، وروي بنصب (طبية) اسماً اسماً لـ (كأن)، وبالجر اسم مجرور بالكاف وأن زائدة، ينظر : الكتاب ١٣٤/٢، رصف المباني ٢٨٦، الجنى الداني ٥٧٦، خزانة الأدب ٣٦٥/٤.

- قولُ الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] .

إذ اتّفقَ أنّ الضّميرَ المتّصلَ ضميرُ الشّأنِ اسم (إنّ)، والجملةُ ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في محلِّ رفعٍ خبرُها، والمعنى : أنّ الشّأنَ والحديثَ هو عدمُ فلاحِ الظّالمينَ، فلا ينجونَ من مكروهٍ، ولا يفوزون بمطلوبٍ، فكيفَ بمَنْ كان غايةً في الظّلمِ ؟! [2] ؛ لذلك فإنّ ((موقعَ ضمير الشّأنِ معها أفادَ الاهتمامَ بهذا الخبرِ اهتمامَ تحقيقٍ ؛ لتقعَ الجملةُ الواقعةُ تفسيراً له في نفسِ السّامعِ موقعَ الرّسوخِ))[3] .

- وقولُهُ عزَّوجلَّ :﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4] .

إنّ الضّميرَ الواقعَ اسماً لـــ (إنّ) هو ضميرُ الشّأنِ، وجملة ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خبرٌ لها، أي : لا يظفرون ولا يفوزون بمطلوبِهم[5]، وقد جاءَ اسمُ (إنّ) ضمير الشّأنِ ؛ للتنبيهِ على الاهتمامِ بهذا الخبرِ وأنّه أمرٌ عظيمٌ[6] .

- وقولُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾[7] .

---

(١) سورة الأنعام : ٢١ .

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٤٣/٢، روح المعاني ٢٣٧/٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٩٠/٤ .

(٤) سورة الأنعام : ١٣٥ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب ٤٩٢/٦، روح المعاني ٣٣/٦ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ١٤٣/٥ .

(٧) سورة المائدة : ٧٢ .

إنّ دلالةَ ضميرِ الغائبِ في قولِهِ ﴿إِنَّهُۥ﴾ هو للشّأنِ والحديثِ، وتعربُ جملةُ الشّرطِ ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ في محلِّ رفعٍ خبراً لها، وهذا الكلامُ يتّضمنُ بيانَ أنّ الشّركَ في عبادةِ اللهِ أو فيما يختصُّ به من صفاتِ الألوهيةِ أو الرّبوبيةِ يوجبُ تحريمَ دخولِ الجنّة[1]، ويشيرُ الضّميرُ المقترنُ بـــ (إنّ) على العنايةِ بالخبرِ الواردِ بعدَهُ[2] .

٢- **<u>تعظيمُ الخبرِ وتفخيمُهُ :</u>** جعلَ النّحاةُ مدارَ استعمالِ ضميرِ الشّأنِ ومحورَهُ هذا المعنى، ولم يذكرُوا سواه، قالَ ابنُ يعيش : ((ولا يفعلونَ ذلك إلا في مواضعِ التّفخيمِ والتّعظيمِ)) [3]، فإنَّ فائدةَ تصدّرِهِ في الكلامِ إيذانُ مضمونِهِ بفَخامتِهِ مع ما فيه من زيادةِ تقريرِهِ في الذّهنِ، فالضّميرُ لا يُفهمُ منه إلا شأنٌ مُبهمٌ خطيرٌ، فيبقى الذّهنُ يتّرقبُ ما يعقبُه، فيتمكّنُ له عندَ ورودِهِ فضلُ تمكُّنٍ [4]، ومما دلَّ عليه :

- قولُهُ تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[5] .

يجوزُ في الضّميرِ المتّصلِ بـــ (إنَّ) أنْ يكونَ اسمَها، وهو ضميرُ الشّأنِ، وهو الأظهرُ عندَ المفسّرين، وجملةُ ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ خبرٌ لها، و﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفتانِ للهِ عزَّوجلَّ[6]، ((والمعنى : إعلامُهُ بأنَّ أمراً مهّماً يجبُ علمُهُ، وهو أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ، أي : لا يغلبُهُ شيءٌ، ولا يستصعبُ عليه تكوينٌ))[7] .

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٧٣/٢، فتح القدير ٣٤٠/٢ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٨/٤ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٦٥/٣ . وينظر : شرح الكافية للرضي ٤٦٥/٢ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣٤٣/٢ .

(٥) سورة النمل : ٩ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٥٦/٧، الدر المصون ٥٧٥/٨ .

(٧) ينظر :التحرير والتنوير ٢٤٩/١٠ .

- وقولُهُ تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾[١] .

إنَّ الضّميرَ المتصلَ في قولِه﴿ أَنَّهُۥ ﴾ في محلِّ نصبٍ اسمُها، وهو ضميرُ الشّأنِ، وقد دلَّ معناه على أنّ الجملةَ بعدَهُ أمرُهم خطيرٌ ؛ لأنّها تأييسٌ له من إيمانِ بقيةِ قومِهِ [٢] .

- وقولُهُ تعالى : ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۖ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]

يجوزُ عندَ علماءِ العربيةِ في أحدِ وجهينِ أنْ يكونَ ﴿ هُوَ ﴾ ضميرَ الأمرِ والشّأنِ مبتدأ، و﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأٌ ثانٍ، و﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ خبرانِ للمبتدأ الثّاني ،وجملةُ ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في محلِّ رفعٍ خبرٌ عن ضميرِ الشّأنِ[٤] .

ودلَّ معنى ضميرِ الشّأنِ أنّ اللهَ عزَّوجلَّ متفردٌ بالإلوهية والوحدانيةِ، وتقديرُ الكلامِ : ((أيْ : بلِ الشّأنُ المهمُ اللهُ العزيزُ الحكيمُ لا آلهتُكم؛ ففي الجملةِ قصرُ العزّةِ والحكمِ على اللهِ تعالى كنايةً عن قَصرِ الإلهيةِ عليه تعالى قصرَ إفرادٍ))[٥] .

- وقولُهُ تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٦] .

---

(١) سورة هود : ٣٦ .
(٢) التحرير والتنوير ١١٣/٧ .
(٣) سورة سبأ : ٢٧ .
(٤) ينظر : الدر المصون ١٨٥/٩ .
(٥) التحرير والتنوير ٣٩١/١١ .
(٦) سورة المائدة : ٣٢ .

إنّ الهاءَ في ﴿ أَنَّهُۥ ﴾ ضميرٌ متّصلٌ في محلِّ نصبٍ اسمُها، وهو ضميرُ الأمْرِ والشَّأنِ ،و﴿ مَن ﴾ اسمُ شرطٍ في محلّ رفعٍ مبتدأٌ،وجملةُ ﴿ قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ فعلُ الشّرطِ وجوابُهُ في مَحَلِّ رفعٍ لاسمِ الشّرطِ، واسمُ الشّرطِ وخبرُهُ جملةٌ اسميةٌ في محلّ رفعٍ خبرٌ لـــ (أن) [1]، ((أيْ : كتبنا عليهم شأناً مهمّاً هو مماثلةُ قتلِ نفسٍ واحدةٍ بغيرِ حقٍّ لقتلِ القاتلِ النّاسَ أجمعينَ))[2] .

- وقولُهُ تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾[3] .

﴿ أَن ﴾هي مخفّفةٌ من الثّقيلةِ،واسمُها ضميرُ شأنٍ محذوفٍ،وجملةُ ﴿ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ﴾ في محلِّ رفعٍ خبرُها[4] .

لقد دلّتْ جملةُ ﴿ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ على شأنٍ عظيمٍ من شؤونِ اللهِ تعالى، وهو شأنُ عَدلِهِ ورحمتِهِ، ورضاه لعبادِهِ الخيرَ والصّلاحَ، وكراهيتِهِ سوءَ أعمالَهم، وإظهارِهِ أثرَ ربوبيتِهِ إياهم بهدايتِهم إلى سبلِ الخيرِ، وعدمِ مباغتتِهم بالهلاكِ قبل التقدّمِ إليهم بالإنذارِ والتّنبيهِ[5] .

- وقولُهُ سبحانَهُ تعالى :﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾[6] .

---

(١) ينظر : تفسير اللباب ٥١/٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨٢/٤ .

(٣) سورة الأنعام : ١٣١ .

(٤) ينظر : الدر المصون ١٥٥/٥ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١٣٣/٥ .

(٦) سورة الجنّ : ١ .

وردَ ضميرُ الشّأنِ في قولِهِ تعالى:﴿أَنَّهُ﴾،وهو ضميرٌ متّصلٌ اسمٌ لها، وقولُهُ: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جملةٌ فعليةٌ خبرُها[١]، أي : أنَّ الشّأنَ العظيمَ استمعَ بغايةِ الإصغاءِ والتّقبلِ عددٌ قليلٌ من الجنِّ لقراءتي القرآنَ[٢]، وقد أفادَ ضميرُ الشّأنِ في الجملةِ زيادةَ اهتمامٍ بالخبرِ الموحى به[٣] .

٣- **<u>التّأكيد :</u>** فمن المعاني الواردةِ لضميرِ الشّأنِ والقصّةِ هو التوكيد على عظمِ معنى الخبرِ، ومنه :

- قولُهُ تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾[٤].

فالضّميرُ المؤنث المتّصلُ (ها) في محلٍّ نصبٍ اسمُ (إنَّ)، وهو ضميرُ القصّةِ، والجملةُ الشّرطيةُ ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ... ﴾ مفسِّرةٌ للضّميرِ، وقعت خبراً لـــ (إنّ) [٥]، ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنّ هذا التركيبَ اجتمعتْ فيه ثلاثةُ مؤكداتٍ، هي : النداءُ، وإنَّ، وضميرُ القصّةِ ؛ لعظمِ خطرِ ما بعدَهُ المفيد تقريرَ وصفِهِ تعالى بالعلمِ المحيطِ بجميعِ المعلوماتِ من الكائناتِ، ووصفِهِ بالقدرةِ المحيطةِ بجميعِ الممكناتِ [٦] .

---

(١) ينظر : تفسير اللباب ٤٤٩/١٥ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ١٩٨/٩ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٣٥٠/١٥ .

(٤) سورة لقمان : ١٦ .

(٥) ينظر : الدر المصون ٦٤/٩ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ١٢٦/١١ .

٤- **التّهويل والتّخويف :**

- كما في قولِهِ تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾[١] .

تعدُّ (كاد) من أفعالِ المقاربةِ فتعملُ في اسمينِ أصلُهما مبتدأٌ وخبرٌ عَملَ كانَ، واسمُها هنا ضميرُ شأنٍ مقدّرٌ، وجملة خبرها هي ﴿ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾، وقد جُعلَ اسمُها في الآيةِ ضميراً للشّأنِ ؛ ((لتهويلِ شأنِهم حينَما أشرفُوا على الزّيغِ)) [٢] .

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ ... ﴾[٣] .

(أنْ) هي المخفّفة من الثّقيلة، واسمُها على الصّحيحِ ضميرُ الشّأنِ، و﴿ يَكُونَ ﴾ وما في حيّزِها في محلِّ رفعٍ خبرٌ لها[٤]، والأصلُ : أنّهُ عسى ...، والمعنى : أولم ينظرُوا في أنِ الشّأنَ والحديثَ عسى أنْ يكونَ قدِ اقتربَ أجلُهم، وهذا على توقّعِ قربِ أجلِهم، ولعلَّهم يموتونَ عمّا قريبٍ[٥] .

وقد ((صيغَ الكلامُ على هذا النّظمِ؛ لإفادةِ تهويلِ الأمرِ عليهم وتخويفِهم بجعلِ متعلّقِ النّظرِ من معنى الإخبارِ للدّلالةِ على أنّه أمرٌ من شأنِهِ أنْ يخْطرَ في النّفوسِ، وأنْ يتحدثَ به النّاسُ ،... ومعنى النّظرِ في توقّعِ اقترابِ الأجلِ التّخوفُ من ذلك)) [٦] .

---

(١) سورة التوبة : ١١٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٩٦/٦ .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٥ .

(٤) ينظر : الدر المصون ٢٥٦/٥ .

(٥) ينظر : الكشاف ١٣٦/٢ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٥٨/٤ .

- وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] .

قرئت الآيةُ بتخفيفِ نونِ ﴿أَنَّ﴾، وكسرِ ضادِ ﴿غَضَبَ﴾ بصيغةِ الفعلِ الماضي، وضمِّ اسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾[2]، وخرّجتْ هذه القراءةُ على أنّ (أنْ) مخفّفة من الثّقيلةِ، واسمُها ضميرُ الشّأنِ، و (غضبِ) فعلٌ ماضٍ، ولفظُ الجلالةِ فاعلٌ مرفوعٌ، والجملةُ الفعليةُ خبرٌ لها [3] .

ولـــمّا كانتِ الآياتُ التي قبلَها هي بيانٌ لأحكامِ العفائفِ من النّساءِ ورمي المحصناتِ والرّامينَ لأزواجِهم بالزّنا وذكرِ الشّهاداتِ الأربعِ لكلٍّ واحدٍ منهما خصّتِ الملاعنةُ بينَهما بأنْ تخمّسَ المرأةُ بغضبِ اللهِ عليها تغليظاً وتخويفاً لها[4] ؛ ولذا جيءَ في هذه الآيةِ باسمِ (أنْ) المخففةِ ضميرُ الشّأنِ محذوفاً تهويلاً لشأنِ الشّهادةِ الخامسةِ[5] .

- وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ... ﴾[6] .

إنّ الهاءَ في ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ ضميرٌ متّصلٌ اسمُها، وهو ضميرُ الشّأنِ والحديثِ، و﴿كَانَتْ تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ خبرُها[7]، أيْ : بأنّ الشّأنَ والحديثَ

---

(١) سورة النور : ٩ .

(٢) قرأ نافع بتخفيف النون وكسر الضاد ورفع الهاء من اسم الجلالة، والباقون بتشديد النون وفتح الضاد ونصب التاء وجر الهاء . ينظر : التيسير ١٣١، الحجة للقــراء السبعة ١٩٤/٣ .

(٣) ينظر : الحجة للقراء السبعة ١٩٥/٣، الدر المصون ٣٨٧/٨ .

(٤) ينظر :الكشاف ١٦٦/٣، إرشاد العقل السليم ٢٨/٥ .

(٥) ينظر :التحرير والتنوير ٤٤٠/٩ .

(٦) سورة التغابن : ٦ .

(٧) ينظر :الكشاف ٤١٤/٤، الدر المصون ٣٤٧/١٠ .

والحديثَ هو إنكارُهم أنْ يكونَ الرّسولُ بشراً، ولم ينكرُوا أنْ يكونَ معبودُهم حجراً، فكفرُوا وتولَّوا(١) .

إنّ ما أصابَ الكافرين في الدّنيا ويومِ القيامةِ عذابٌ أليمٌ ؛ لأنّهم كانتْ تأتِيهم رسلُهم بالبيناتِ الواضحاتِ من الأدلةِ والحقائق، فاستكبرُوا عن اتّباعِ الحقِّ، وقد جيء بضميرِ الشّأنِ هنا ؛ لقصدِ تهويلِ ما يفسّرُهُ، وهو جملة الخبرُ ﴿كَانَتۡ تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾(٢) .

٥- **<u>التّحذير والإنذار :</u>** ومن أمثلته ما يلي :

- قولُه تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾(٣) .

إذ الضّميرُ في ﴿أَنَّهُۥ﴾ اسمُها ضميرُ الشّأنِ، وجملةُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ خبرُها ؛ لأنّه لــمّا كان هذا الخبرُ مسوقاً للذينَ اتّخذُوا معَ اللهِ آلهةً أخرى، وكان ذلك ضلالاً يستحقُّونَ عليه العقابَ جعلَ إخبارُهم بضدِّ اعتقادِهم وتحذيرِهم ممّا هم فيه إنذاراً (٤) .

- وقوله تعالى: ﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾(٥) .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ٣٦٥/١٥ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١١٩/١٥ .

(٣) سورة النحل : ٢ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٨/٦ .

(٥) سورة الجاثية : ٨ .

﴿كَأَن﴾ أصلُها كأنَّ) المشدّدة فخفّفتْ فقدّرَ اسمُها، وهو ضميرُ الشّأنِ، والتقديرُ : كأنّه لم يسمعْها، و ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ جملةٌ فعليةٌ في محلّ رفعٍ خبرُها[١] .

أي : تتلَى آياتُ اللهِ على كلِّ كذّابٍ كثيرِ الإثمِ مرتكبٍ لما يوجبُهُ، ثُمَّ يتمادى على كفرِهِ متّعظماً في نفسِهِ عن الانقيادِ للحقِّ[٢]، وقد فرّعَ على حالتِهِ هذه إنذارَهُ بالعذابِ الأليمِ، وأطلقَ على الإنذارِ اسمِ البشارةِ التي هي الإخبارُ بما يسرُّ على طريقةِ التّهكمِ[٣] .

٦- **التنبيه :** المرادُ به ((هو الدّلالةُ عمّا غفلَ عنه المخاطب)) [٤]، وجاء ضميرُ الشّأنِ لبيانِ أنّ الخبرَ يقتضي التّنبهَ إليه والتّنويهَ به، وقد ذكرَ هذا المعنى في القرآنِ مستعملاً هذا التّركيبِ النّحويّ في :

- قوله تعالى : ﴿ ... وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ... ﴾[٥] .

يجوزُ في أحدِ الأوجهِ الإعرابيةِ أن يكونَ الضّميرُ ﴿هُوَ﴾ في محلِّ رفعٍ مبتدأً، وهو ضميرُ الشّأنِ، وجملةُ ﴿عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ خبرُهُ، وجيء به تنبيهاً على فظاعةِ ضلالِهم، أي : وأعظمُ من الوقرِ أنَّ عليهم عمىً، أيْ : على أبصارِهم عمىً [٦].

---

(١) ينظر :الكشاف ٢١٧/٤، تفسير اللباب ١٨٥/١٤ .

(٢) ينظر :فتح القدير ٤٣٧/٦ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠٥/١٣ .

(٤) ينظر : التعريفات ٢٢ .

(٥) سورة فصلت : ٤٤ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٥٩/١٣ .

- وقوله تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[1] .

يجوزُ أنْ تكونَ (إنْ) مخفّفةً من الثّقيلةِ غيرِ عاملةٍ، والمبتدأُ محذوفٌ، وهو ضميرُ الشّأنِ والحديثِ، أيْ : وإنْ الشّأنُ والحديثُ وجدْنا أكثرَهم فاسقينَ خارجينَ عن طاعةِ اللهِ[2]، ((والجملةُ خبرٌ عنه تنويهاً بشأنِ هذا الخبرِ ؛ ليعلمَهُ السّامعون)) [3] .

٧- **<u>التّشنيع والتّوبيخ :</u>** ومما جاء عليه

- قوله تعالى: ﴿ ... وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾[4] .

تعدّدتْ أقوالُ النّحاة والمفسّرين في الضّميرِ ﴿هُوَ﴾ في هذه الآيةِ على وجوهٍ، أظهرُها فيها أنّه ضميرٌ منفصلٌ في محلّ رفعٍ بالابتداء، ضميرُ الشّأنِ والأمرِ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبرٌ مقدّمٌ، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ مبتدأٌ مؤخرٌ، والجملةُ الاسميةُ خبرٌ مفسّرةٌ له[5] .

وقد سيقتْ الجملةُ على هذا التّأليفِ ؛ لذمِّهم وتوبيخِهم على فعلتِهم وجنايتِهم وتناقضِ أفعالِهم[6]، كما أنّها قد ((صُدّرتْ بضميرِ الشّأنِ للاهتمامِ للاهتمامِ بها، وإظهارِ أنّ هذا التّحريمِ أمرٌ مقرّرٌ مشهورٌ لديهم ....، وفي

---

(١) سورة الأعراف : ١٠٢ .

(٢) ينظر :الكشاف ١٠٣/٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٠١/٥ .

(٤) سورة البقرة : ٨٥ .

(٥) ينظر :البحر المحيط ٢٩٢/١، الدر المصون ٤٨٦/١ .

(٦) ينظر : روح المعاني ٣٩٥/١ .

قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ تشنيعٌ وتبليدٌ لهم، إذ توهموا القُربةَ فيما هو من آثارِ المعصيةِ))[1] .

المطلبُ الثاني
الضَّميرُ المُفسَّرُ بخبرِه

لقد تطرقتْ غالبيةُ التّعاريفِ المتعلِّقةِ بالخبرِ ؛ لكونِهِ طرفاً بالغَ الأهميةِ يدخل في تركيبِ الجملِ الاسميةِ، إلى علاقتين أساسيتينِ استندتْ إليهما تتمثلانِ بـ :

١- **العلاقةِ التَّركيبيةِ** : وهو ما يطلقُ عليها عندَ النّحاةِ بـ (الإسنادِ)، إذ يشكِّلُ الخبرُ (المسندُ إليه) جزءاً مكمِّلاً لعلاقتِهِ الإسناديةِ بالمبتدأ (المسندِ)، فيمثلُ المبتدأُ فيها أصلاً ومتبوعاً تتبني عليهِ الجملةُ الاسميةُ لفظاً وعملاً، ويمثلُ الخبرُ فرعاً وتابعاً تتبني عليهِ دلالتُها ومعناها ؛ لذلك يوصَفُ بأنَّه : ((التّابعُ المحدّثُ به عن الاسمِ المحكوم عليه على سبيلِ الإسنادِ)) [2]، فالإسنادُ بينهما يكوِّن بناءً خاصاً مبنيّاً على علاقةٍ تركيبيّةٍ يؤثرُ أحدُهما في الآخرِ معنىً وعملاً .

٢- **العلاقةِ الدِّلاليّةِ** : ويشار إليها بـ (الفائدةِ)، حيث يشترطُ في الخبرِ أن يكونَ متصِّفاً بوصفٍ آخرَ يستندُ إلى المعنى، فتُعزى فائدتُهُ أيضاً إلى أنّ السّامعَ يتبينُ دلالةَ الجملةِ عندَ السّكوتِ عليهِ، وهذا يسمّى عندَ النّحاة بـ (حسنِ السّكوتِ)، فهو مفرداً أو جملةً يشيرُ إلى ارتباطِهِ بالمبتدأِ ارتباطاً معنوياً تعتمدُ عليه مقاصدُ

(١) التحرير والتنوير ٣٩٦/١ .

(٢) ارتشاف الضرب ١٠٨٥/٢ .

الحديثِ وأغراضُهُ، فهو إذنْ : ((الجزءُ المستفادُ الذي يستفيدُهُ السَّامعُ، ويصيرُ مع المبتدأ كلاماً)) [١] .

وينقسمُ إفراداً وتركيباً على قسمينِ : مفردٍ وجملةٍ، وقد عرفنا أنَّ ضميرَ الشّأنِ والقصّةِ فيما تقدَّمَ يخبرُ عنه بالجملةِ المصرَّحِ بركنيها، أمَّا الخبرُ المفردُ فـ ((هو ما لعوامِلِ الأسماءِ تسلّطٌ على لفظِهِ)) [٢]، ويتفرع إلى :

١- **<u>الأول :</u>** ما تطابق مع المبتدأ لفظاً ومعنىً، مثلُ قولِ الشَّاعر :

خَليلِي خَليلِي دونَ ريبٍ، وربَّما أبانَ امرؤٌ قَولاً فظُنَّ خَليلا[٣]

أي : خليلي مَنْ لا أشكُّ في صحبتِهِ وصحةِ خلّتِهِ، فهو لا يتغيرُ في غيابِهِ، ويحفظُني عندَ حضوري وغيبتِي [٤] .

٢- **<u>الثاني :</u>** ما تطابقَ مع المبتدأِ معنىً لا لفظاً، مثلُ : زيدٌ أخوكَ[٥] .

لقد وقعَ في اللغةِ العربيةِ شكلٌ تركيبيٌّ يرتكزُ أيضاً على تصدِّرِ ضميرِ الغائبِ، وهو الجزءُ الأساسُ فيه، إلا أنَّ خبرَهُ لفظةٌ مفردةٌ تبيِّنُ معناهُ وتفسّرُ محتواهُ الدلالي، وهو المشارُ إليه بهذا المصطلحِ أعلاه .

وتظهرُ فائدةُ هذا التَّأليفِ الجمليِّ من خلالِ عودِ الضَّميرِ على مرجعِهِ المتأخرِ بأنْ يقصدَ المتكلمُ به الإبهامَ ثُم الإيضاحَ والتَّفصيلَ ؛ كي يتأكدَ المعنى في ذهنِ السَّامعِ[٦] .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٦٩/١ .

(٢) المساعد ٢٢٥/١ .

(٣) قائله مجهول، وهو من الطويل، ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٤/١، تعليق الفرائد ٨٢/٣ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٤/١، المساعد ٢٢٥/١ .

(٥) ينظر : شفاء العليل ٢٨٦/٢ .

(٦) ينظر : التحرير والتنوير ٣٦١/٩ .

ومن الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ النَّحويينَ لم يدرجُوا هذا التَّركيبَ (الشَّكل أو النمط) في التَّراكيبِ التي توصفُ بكونها من المفسَّراتِ بما بعدها، ولم يذكروه فيما أطلُقوا عليه بمصطلحِ (المضمرِ على شريطةِ التّفسيرِ)، وهذا التّركيبُ (الشَّكل أو النمط) وإنْ شابهَ السّابقَ – أي تركيبَ ضميرِ الشّأنِ – عندَ علماءِ العربيةِ إلا أنَّ الزَّمخشريَّ قد أفردَهُ وجعلهَ أكثرَ خصوصيةً، وقد أشارَ إليه من دون التَّصريحِ به في تفسيرِ مواضع من الذِّكر الحكيمِ، ويبدو أنّه فرَّعهُ عن ضمير الشَّأن باعتبار اختلافِهِ عنه ومفارقتِهِ له من حيث أنَّه هنا يخبرُ عنه بمفردٍ ويخبرُ عن ضمير الشّأن بجملةٍ ليس فيها عائدٌ تربطُها به .

إن الفَّراءَ، وهو من الأوائلِ الذين أشارُوا إلى هذا الشَّكل التّركيبيِّ، وجدَه يحوِي ضميراً مخالفاً لما عرِفَ عندَ الكوفيينَ بـ (الضَّميرِ المجهولِ)، حيث نبّهَ عليه في بيانِ الآيةِ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾[1]، فقالَ : ((وإنْ شئتَ جعلتَ ﴿هِيَ﴾ للأبصارِ كنَّيتَ عنها، ثُمَّ أظهرتَ الأبصارَ؛ لتفسرَها)) [2] ، ويكونُ حينئذٍ التّقديرُ : ((فإذا أبصارُ الذّينَ كفرُوا شاخصةٌ أبصارُهم، كنَّى عن الأبصارِ، ثُمَّ أظهرَ)) [3] .

وتنبّهَ من بعدِهِ الزَّمخشريّ إليهِ فرآهُ ضميراً يشكّلُ جزءاً مهِّماً من تركيبٍ لغويٍّ مغايرٍ عمّا عرفوهُ في التّركيبِ الجمليّ لضميرِ الشّأن ؛ لذلك نراهُ يشيرُ إليهِ بعباراتٍ خاصةٍ يفهمُ منها أنَّه ضميرٌ يتميزُ بكونهِ يخبرُ عنه بمفردٍ فرقاً عن تّركيبِ ضميرِ الشّأن، وعندَ تتبّعِ ذلك يظهرُ ما يلي :

(١) سورة الأنبياء : ٩٧ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٢ .

(٣) مفاتيح الغيب ١١/٧٣ .

١. أشارَ إليه بأنّه ضميرٌ مبهمٌ تفسرُهُ بعدَهُ لفظةٌ مفردةٌ، وهو يعودُ عليها لفظاً ورتبةً، وذلكَ عند الآيةِ: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[١]، فقال : ((﴿وَهُوَ﴾ ضميرُ الشّأنِ، **ويجوزُ أنْ يكونَ مبهماً تفسيرُهُ** ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾)) [٢] .

٢. نبّه إلى أنّه يجوزُ في وجهٍ أن يكون مفسَّراً بلفظٍ مفردٍ بعدَهُ في قولِهِ تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٣]، وهذا نصُّهُ : ((﴿فَإِنَّهَا﴾ الضَّميرُ ضميرُ الشَّأنِ والقصّةِ ...، **ويجوزُ أنْ يكونَ ضميراً مُبهماً يفسِّرُهُ** ﴿الْأَبْصَارُ﴾، وفي ﴿تَعْمَى﴾ ضميرٌ راجعٌ إليه)) [٤] .

٣. رجّحَ الوجهَ الأوّلَ، وهو أنّه ضميرٌ لا يرجعُ على متقدِّمٍ مفسَّرٌ بالخبرِ المفردِ، وجوَّز وجهاً ثانياً، وهو أنْ يكونَ مفسَّراً من خلالِ دلالةِ السّياقِ عليهِ، وهذا في تفسيرِ الآيةِ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾[٥]، إذ قال: ((فما ﴿هِيَ﴾ إلا ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، **وهي لا ترجعُ إلى شيءٍ، إنّما هي مبهمةٌ موضحُها خبرُها**، ويجوزُ : فإنّما البعثةُ زجرةٌ واحدةٌ)) [٦] .

---

(١) سورة البقرة : ٨٥ .

(٢) الكشاف ١/١٢٤ .

(٣) سورة الحج : ٤٦.

(٤) الكشاف ٣/١٢٤ .

(٥) سورة الصافات : ١٩ .

(٦) الكشاف ٤/٣١ .

٤. جوّزَ فيه ثلاثةَ وجوهٍ منها أنّه مفسَّرٌ بخبرِهِ في الآيــة : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾[١]، وإليك نصّهَ : ((﴿إِنَّهَا﴾ والضّميرُ للنّارِ، ولم يجرِ لها ذكر؛ لأنّ ذكرَ العذابِ دلَّ عليها، **ويجوزُ أنْ يكونَ ضميراً مُبهماً تــرجمَ عنــه الخبرُ**، أو ضمير القصّةِ)) [٢] .

لقد تطورَ هذا الاصطلاحُ وأخذَ صورتَهُ بشكلٍ أكثرَ وضوحاً على يدِ ابنِ مالكٍ حينَ وافقَ صراحةً ما أشارَ إليهِ الزّمخشريّ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٣] بأنَّ الضَّميرِ ﴿هِيَ﴾ لا يتبينُ إلا بما يتلوهُ من الخبرِ، وأنَّه أقيم مكانَ الحياةِ، والخبرُ يدلُّ عليه ويبيّنُهُ، والأصلُ: ما الحياةُ إلا حياتُنا الدُّنيا [٤].

ويعدُّ ــ أي ابن مالك ــ أوّلَ مَنْ أدرجَ هذا الشَّكلَ في مواضعِ المضمرِ على شريطةِ التَّفسيرِ، وقد أطلقَ عليه هذا المصطلحَ، فقالَ : ((ومثالُ المفسَّر بخبرِهِ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[٥])، ثُمَّ ذكر كلامَ الزّمخشريِّ أعلاه مُشيراً إلى أنَّ ((هذا من جيِّدِ كلامِهِ)) [٦] .

إنَّ علماءَ العربيةِ رصدُوا ضميرَ الغائبِ هذا في نصوصٍ لغويّــةٍ – نثريّةً كانتْ أم شعريّةً –، منها (الآيــة :٣٧) فــي ســورةِ المــؤمنين وغيرِها، فسلكُوا في تفسيرِهِ اتجاهاتٍ متباينةً اتخذتْ ثلاثةَ أبعادٍ مختلفــةٍ، هي :

---

(١) سورة المعارج : ١٥ .
(٢) الكشاف ٤٦٠/٤ .
(٣) سورة المؤمنون : ٣٧ .
(٤) ينظر : الكشاف ١٤٣/٣ .
(٥) سورة المؤمنون : ٣٧ .
(٦) ينظر : شرح التسهيل ١٦٣/١ .

الأوّل : البعدُ النيابيُّ

اتّجهَ الزَّمخشريُّ ومَنْ وافقَهُ من اللّغويينَ أمثالُ : ابنِ مالكٍ وابنِ عقيلٍ وغيرهما[1]، ومن المفسرينَ أمثالُ : الرّازيّ والقرطبيّ وغيرهما[2]، إلى أنّه يكّونُ جزءاً مهماً من التّركيبِ في جملةٍ اسميةٍ صغرى، فلا يتوضحُ معناه إلا بلفظِ الخبرِ بعدَهُ ؛ لذلك اشترط أنْ يكونَ معناهُ مأخوذاً من لفظِ الخبرِ ومطابقاً لدلالتِهِ ؛ لأنَّ الضَّميرَ استُعيضَ به عن الاسمِ الظّاهرِ ووضِعَ مكانَهُ، فقال مبيّناً ذلك : ((﴿ إِنۡ هِيَ ﴾ هذا ضميرٌ لا يُعلَمُ ما يعني به إلا بما يتلوهُ من بيانِهِ، وأصلُهُ : إنِ الحياةُ ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾، ثُمَّ وضِعَ ﴿ هِيَ ﴾ موضعَ الحياةِ ؛ لأنّ الخبرَ يدلُّ عليها ويبيّنُها)) [3] .

وهذا المخططُ يوضّحُ ماهيةَ هذا الشّكلِ التّركيبيِّ حسب رأيي الزّمخشريّ وابن مالكٍ:

جملة الضمير المفسر بخبره = **ضمير غائب للمفرد** (المفسَّر) + **اسم مرفوع** (المفسِّر)

مبتدأ — اسم (إن) — خبر مفرد

وقد استدلَّ الزّمخشريُّ على رأيهِ فيما تقدَّمَ بأنَّ الضّميرَ يفسَّرُ بالخبرِ المفردِ نثراً بقولهم : هي العربُ تقولُ ما شاءتْ، وشعراً بقولِ الشّاعر :

---

(١) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٣/١، المساعد ١١٤/١، تعليق الفرائد ١١٩/٢-١٢٠، شفاء العليل ٢٠٣/١ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ١٨٣/١١، الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/١٢، فتح القدير ١٥٦/٥، روح المعاني ٢١١/١٣، التحرير والتنوير ١٢٤/٩.

(٣) الكشاف ١٤٣/٣ .

هي النَّفسُ تتحمَّلُ ما حُمِّلَتْ ..... [1]

ووفقاً لما يراهُ فإنّ الضّميرينِ يعربانِ مبتدأينِ، و(العربُ) و (النّفسُ) خبرانِ لهما، والجملتانِ (تقولُ ما شاءتْ) و (تتحملُ ما حملتْ) بدلانِ من الاسمينِ، وكذلكَ يحتملانِ أيضاً ثلاثةَ أوجهٍ إعرابيةٍ عند غيره، هي :

١- أنْ يعربا مبتدأينِ، و(العربُ) و(النّفسُ) بدلان منهما، والجملتانِ الفعليتانِ خبرانِ لهما[٢]

٢- أنْ يكونا مبتدأينِ ضميري شأنٍ وقصّةٍ، والجملتانِ الاسميتانِ (العربُ تقولُ ...) و (النّفسُ تتحملُ ...) خبران لهما[٣] .

٣- أن يعربا مبتدأينِ ،و(العربُ) و (النّفسُ) عطفا بيانٍ، والجملتانِ الفعليتانِ خبرانِ لهما[٤] .

وتعزى الاستعاضةُ بالضّميرِ عن الاسمِ الظّاهرِ في هذا التّركيبِ لسببينِ، هما :

- التّخلّصُ من تكرارِ لفظِ الخبرِ نفسِهِ مما يؤدي إلى الإخلالِ ببلاغةِ النّصِّ .
- عدمُ التّصريحِ به لإمكانِ الاستغناءِ عنه بغيرِهِ [٥] .

وقد استُبعِدَ أنْ يعربَ في الآية آنفة الذكر ضميرَ شأنٍ وقصّةٍ لعدمِ إمكانيةِ ذلك لما يلي:

---

(١) وعجزه (وللدهر أيامٌ تجورُ وتعدلُ)، قائله مجهول، وهو من الطويل، ينظر : الكشاف ١٤٣/٣، شرح التسهيل لابن مالك ١٣٦/١ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٣/١.

(٣) ينظر : مغني اللبيب ٥٤٢/٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٦١/٩.

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ١/٥ .

١- أن الضّمير (هي) فسِّرَ بالمفردِ في حين أنَّ ضمير الشَّأنِ يفسَّرُ بالجملةِ.

٢- أنّ الحرفَ (إنْ) – المكسورة المخفَّفة – فيها بمعنى (لا) النّافية للجنسِ، ولا يمكنُ أنْ نجعلَهُ ضميرَ شأنٍ ؛ لأنّ معنى الكلامِ يكونُ : لا قصّةَ إلا حياتُنا، فحينها تختلُّ دلالةُ التّركيبِ .

٣- أنّ الضّميرَ تضمّنَ معنى اسمِ الجنسِ ؛ لأنّه هنا لا يبيّنُ إلا باسمِ جنسٍ، وهو لفظ الخبر، فوضعَ موضعَ معنى لفظةٍ دالةٍ على الجنسِ، والتّقديرُ : لا حياةَ إلا حياتُنا[١].

الثّاني : البعد السياقيّ

يعرّفُ السّياقُ بأنّه : ((المحيطُ اللغويُّ الذي تقعُ فيه الوحدةُ اللغويّةُ سواءٌ أكانتْ كلمةً أو جملةً في إطارٍ من العناصرِ اللغويّةِ أو غيرِ اللغويّةِ))[٢] .

لقد سلكَ أبو حيانٍ إتجاهاً سياقيّاً لتفسيرِ ماهيةِ الضّميرِ فيها، فهو عندهُ في هكذا تركيبٍ لفظةٌ محكومةٌ بالسّياقِ لفهمِ معناها، فلا يمكنُ أنْ تستقيمَ دلالتُها إلا بالنّظرِ إلى ارتباطِها بما يجاوره من كلماتٍ وجملٍ، إذ هو يتمتعُ بالاستقلاليةِ والانحيازِ إلى الدّلالة السّياقيّةِ، فلا يتبعُ مرجعاً قبلَهُ ولا بعدَهُ، بل يلجأُ العقلُ لفهمِهِ إلى علاقاتِ التّأثيرِ والتّأثرِ بينَ الألفاظِ بعضُها ببعضٍ في مثيلِ النّص اللغويّ في الآية، ((فيكونُ المفسِّرُ إذن هو السِّياقُ لا الخبرُ)) [٣].

وتبرزُ دلالةُ الضّميرِ من خلالِ الجوِّ العامِّ للآيةِ السّابقةِ له، حيثُ ضمِّنَ الاستفهامُ استبعادَ البعثِ وإنكارَ الآخرةِ، فقالَ: ((وقالُوا : ﴿إِنۡ هِيَ﴾

(١) ينظر : الكشاف ١٤٣/٣، التحرير والتنوير ٣٦٢/٩ .

(٢) دلالة السياق ٥١ .

(٣) تعليق الفرائد ١٢٠/٢ .

هذا الضّميرُ يفسِّرُهُ سياقُ الكلامِ ؛ لأنّهم قبلُ أنكرُوا المعادَ، فقالوا: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ ... ﴾[1] الآية، فاستفهمُوا استفهامَ استبعادٍ وتوقيفٍ واستهزاءٍ، فتضمَّنَ أنْ لا حياةَ إلاّ حياتُهم)) [2] .

وقد نهجَ أبو حيانٍ نهجاً حافظَ فيه على البعدِ السياقيّ في تفسيرِ شبيهٍ له في آيةٍ أخرى خلافاً لما يراه الزمخشريُّ، وقد سبقَ ذكر رأيهِ، إذ إنّ دلالتَه حسبَ رأيهِ ترجعُ للسّياق لا للخبرِ في قولهِ تعالى:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾[3]، فقال: ((﴿ هِيَ ﴾ كنايةٌ عن البعثةِ، فإنما بعثتُهم ﴿ زَجْرَةٌ ﴾، أي : صيحةٌ، وهي النّفخةُ الثّانيةُ)) [4] .

كما حذا تلميذُهُ الشّهابُ الحلبيُّ حذوَهُ في أنَّ السّياقَ هو الذي دلَّ على معناه، فصرحَّ بذلك مؤيداً موقفِ أستاذه أبي حيان، فإنّ :((﴿ هِيَ ﴾ ضميرُ البعثةِ المدلولُ عليها بالسِّياق))[5]

ولم يتردّدْ أبو حيان في موقفِهِ هذا، وقد أكّدهُ مرتينِ أخريينِ في معرضِ ردِّهِ على الزّمخشريّ وابنِ مالكٍ، إذ أنَّ الضّميرَ في الآيةِ تبيّنُهُ دلالةُ السّياقِ لا لفظُ الخبرِ أو معناه، وأيَّدُهُ الحلبيُّ في ذلك[6] .

<u>الثّالث : البعد الذهنيّ</u>

عزا مَنْ تبنّى هذا الرّأيَ تفسير الضّميرِ المركبِ للنمطِ الجمليِّ في الآيةِ إلى اتّجاهٍ آخرَ يبعدُ كلَّ البعدِ عن الرّأيينِ السّابقينِ، ولم يقتربْ منهما

---

(١) سورة المؤمنون : ٣٥ .

(٢) البحر المحيط ٤/ ٣٢٤ .

(٣) سورة الصافات : ١٩ .

(٤) البحر المحيط ٣٥٥/٧ .

(٥) الدر المصون ٢٩٩/٩ .

(٦) ينظر : ارتشاف الضرب ٩٤٦/٢، التكميل والتذييل ٢٦٩/٢، الدر المصون ٣٤٢/٨ .

على الإطلاق، فقد توجّه صوبَ الذّهنِ وتصوراتِهِ وما يمكنُ أنْ يعهدَ في ذهنِ السّامعِ، واعتمدَ على ذلك في تفسيرِه بقولِ الشّاعرِ الذي استدلَّ الزّمخشريُّ به سابقاً، وهو :

هي النَّفسُ تتحمَّلُ ما حُمِّلَتْ ..... (١)

فإنّ مرجعَ الضّميرِ (هي) وفقاً لهذا الرأي غيرُ موجودٍ أصلاً لا معنىً ولا سياقاً، وإنّما ينبني على التّصورِ الذّهنيّ الذي يحدثُهُ التّعيينُ بالإشارةِ ؛ لأنّ ((الضّميرَ راجعٌ إلى معهودٍ ذهنيٍّ أُشيرَ إليهِ، ثُمَّ أخبرَ بما بعدَهُ كما في : هذا أخوك)) (٢)، فمرجعُه يعودُ إلى ما استقرَّ ذهناً ممّا عرفَ وتحصّلَ من خلالِ الإشارةِ إليه في العقلِ، ولا يصلحُ أنْ يكونَ مفسَّراً بالخبرِ المفردِ ؛ لما لذلك من إخلالٍ في المعنى المتولدِ من تكرارِ لفظِ الخبرِ نفسِهِ بدل الضَّميرِ، فلا يمكنُ أن يكونَ معنى البيتِ : النّفسُ النّفسُ ... ؛ لأنّه لا يتّحصلُ من ذلك أيُّ معنىً مفيدٍ مبنيٍّ على ما تقدَّم من تعريفِ الخبرِ .

وأخيراً فلقد وقعَ الخلافُ والاختلافُ في النمط النحوي الحالي شكلاً ومضموناً بينَ علماءِ العربيةِ ودارسيها بسببِ إشكاليةِ تأويلِ الضميرِ فيه بما يناسبُ النّصَ اللغويّ، وأبرزُ مَنْ أثبتَهُ وصرّحَ به هو ابنُ مالكٍ، وتبعَهُ في موقفِهِ كثيرٌ غيرُهُ كما رأينا سابقاً .

بالمقابلِ لم يلقَ هذا التّركيبُ شكلاً واصطلاحاً قبولاً وكثيرَ اهتمامٍ عندَ بعضِ النّحويين ؛ لأنّه لا تظهرُ دلالةُ ضميرِ الغائبِ فيه، ولا يفسّرُ إلا بسياقِ الكلامِ لا غيرَ، كما أنّه ليسَ من مواضعِ الضّميرِ المفسّرِ بالمفردِ، ولعلَّ أبرزَ شخصيةٍ نحويةٍ عارضتَهُ بشدّةٍ ووقفتْ منه بموقفِ الضّدِّ

(١) تقدم ذكره .

(٢) روح المعاني ٢١١/١٣ .

ورفضتَهُ جملةً وتفصيلاً هو أبو حيان في أثناءِ تتّبعِهِ للزّمخشريِّ وابنِ مالكٍ، وتابعَهُ الحلبيُّ، وتمثلَّ موقفُهما بما يلي :

١- شدَّدَ أبو حيانٍ على عدمِ قبولِهِ ذلك مطلقاً، فقال ما نصّهُ : ((ولم يذكر أصحابُنا في الضّميرِ الذي يفسِّرهُ ما بعدَهُ، ولا ينوى بالضّميرِ التّأخيرُ، أنْ يكونَ مفسّرُهُ الخبرَ، وإنّما هذا يفسّرُهُ سياقُ الكلامِ)) [١] .

٢- أنكرَ طبيعةَ هذا الشّكلَ التّركيبيَّ الذي يؤلّفُ فيه الضّميرُ ركناً منه أثناءَ تعقبِهِ للزّمخشريِّ وابنِ مالكٍ مستفهماً عن ماهيتِهِ عندَ الآيةِ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾[٢] قائلاً : ((ولا أدري ما هذا المضمرُ الذي ترجمَ عنه الخبرُ ؟، وليسَ هذا من المواضعِ التي يفسّرُ فيها المفردُ الضّمير)) [٣]

٣- ألمحَ إلى اعتراضِهِ على هذا التّركيبِ والاصطلاحِ عندَ الآيةِ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾[٤]، فقالَ : ((وكثيراً ما يقولُ هو – أي الزّمخشريّ – وابنُ مالكٍ أنّ الضّميرَ يفسّرُهُ الخبرُ)) [٥] .

٤- شكّكَ الحلبيُّ في نسبةِ القولِ بهذا التّركيبِ للزّمخشريّ، وأنّه ممّا لم يقلْ به تصريحاً، ولم يجعلْهُ مع التّراكيبِ التي يفسرُ فيها الضّميرُ بما بعدَه لفظاً ورتبةً، وإنّما توّهمَ ابنُ مالكٍ ذلك ونسبهُ إليه، وفهمَ كلامَهُ خطأً وحمّلَهُ ما لا يحتملُ، فقالَ: ((وقد جعلَ

---

(١) التكميل والتذييل ٢٩٦/٢، وينظر :ارتشاف الضرب ٩٤٦/٢، البحر المحيط ٢٩٢/١ .

(٢) سورة المعارج : ١٥ .

(٣) البحر المحيط ٣٣٤/٨ .

(٤) سورة الصافات : ١٩ .

(٥) البحر المحيط ٢٩٩/٢ .

بعضُهم هذا القسمَ ممّا يفسرُ بما بعدَهُ لفظاً ورتبةً ،ونسبهُ إلى الزّمخشريِّ)) [١] .

المطلبُ الثالثُ

الضميرُ المرفوعُ بـ (نعم وبئس) وشبهِهما

أنتجتِ اللغةُ العربيةُ صيغاً فعليةً مستقلةً ((وضعَتْ لإنشاءِ مدحٍ أو ذمٍ))[٢]، وظيفتُها الدّلاليّةُ هي الإشارةُ إلى هذينِ المعنيينِ مطلقاً من غيرِ خصوصيةٍ للممدوحِ أو المذمومِ بصفةٍ دونَ أخرى ضمنَ تآليفَ لفظيةٍ تشكلُ ما يسمّى بـ (جملةِ المدحِ أو الذّمِ)، وتضمُّ هذه الجملةُ ثلاثةَ أطرافٍ رئيسةٍ، هي[٣] :

الطّرفُ الأوّلُ : الأفعالُ الدّالّةُ على معنيي المدحِ والذّمِ كـ (نعمَ وبئسَ) وأخواتِهما .

الطّرفُ الثّاني : الاسمُ المرفوعُ ظاهراً أو مستتراً الذي تؤثرُ فيه عملاً نعمَ وبئسَ وأخواتُهما فاعلاً لها، وهو الدّالُّ على المعنى المستحّقِّ به المدحَ أو الذّمَ .

الطّرفُ الثّالثُ : الاسمُ الممدوحُ والمذمومُ أو ما يسمّى بـ (المخصوصِ بالمدحِ أو الذّمِ) في الجملةِ، وقد يأتي ظاهراً أو ضميراً مذكوراً أو محذوفاً، ويعربُ مبتدأً مؤخراً لفظاً مقدماً رتبةً، فإذا قلت : ((نعمَ رجلاً هو، لم يجزْ إلا أن تنويَ به التّقديمَ، كأنّك قلتَ : هو نعمَ رجلاً،فهو مرتفعٌ بالابتداءِ)) [٤]

فإذا قلنا مثلاً : (نعمَ الرّجلُ خالدٌ) و (بئسَ رجلاً عامرٌ) .

---

(١) الدر المصون ٣٤٢/٨ .

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ٩٠/٢ .

(٣) ينظر : شرح الكتاب للسيرافي ٩/٣ .

(٤) التعليقة ٣٢٤/١ .

فعندَ النّظرِ إلى هاتين الجملتين نرى أنّ **الطّرفَ الأوّلَ** : هو الفعلان (نعمَ وبئسَ) في الجملتين، **والطّرفَ الثّاني** : هو الفاعلُ الظّاهرُ (خالدٌ) في الأولى، والضّميرُ المستترُ وجوباً في الثّانيةِ، وهما الدّالانِ على المعنى الذي يستحقُّ به المدحَ أو الذّمَ، فالذي استحقَّ به المدحُ (الرّجل) أنّهُ محمودٌ في الرّجالِ، والذّمُ (الضّمير المستتر) أنّهُ مذمومٌ في الرّجالِ، **والطّرفَ الثّالث:** الاسمُ المستحقُّ للمدحِ أو الذّمِ (أي : الممدوحِ أو المذمومِ)، وهو (خالدٌ و عامرٌ) .

وينقسمُ الفاعلُ بها على قسمين، هما[1] :

<u>الأوّلُ :</u> اسمٌ ظاهرٌ : ويتفرعُ إلى

- المعرّف بـــ (أل) : كقولِهِ تعالى ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[2]، فـــ ﴿ٱلْمَوْلَىٰ ﴾، و﴿ٱلنَّصِيرُ ﴾ فاعلانِ مرفوعانِ بـــ ﴿نِعْمَ ﴾ معرّفانِ بـــ (أل) التّعريفِ .
- المعرّف بالإضافةِ : ويكون إمّا معرفاً مضافاً إلى ما فيه (أل) التّعريف، كقولِهِ تعالى : ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3]، و﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[4]، وإمّا مضافاً إلى اسمٍ مضافٍ إلى اسمٍ معرّفٍ بـــ (أل)، مثل : نعمَ ابنُ أبي العاصِ عمروٌ .

<u>الثّاني :</u> ضميرٌ للغائب مستترٌ وجوباً ومفسرٌ بنكرة منصوبة على التمييز، فيكونُ فاعلاً يؤوّلُ بلفظٍ معرفٍ بـــ (أل) من نفسِ لفظِ النّكرةِ لـــ (نعم أو بئس)، مثل : ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[5]، و لـــ (سَاءَ) مثل : ﴿فَسَآءَ

(١) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣/٨-٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٤٠ .

(٣) سورة النحل : ٣٠ .

(٤) سورة النمل : ٥٨ .

(٥) سورة الكهف : ٥٠ .

قَرِينًا ﴾[1]، ولـــصيغةِ (فَعُل) الدالةِ على التّعجبِ، مثل : ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[2]، وهذا التّركيبُ هو المعنيُّ بالدّراسةِ كونه نمطاً يضمُّ ضميراً غائباً يفسِّرُه ما بعدَه .

إنَّ قاعدةَ (الإضمارِ قبلَ الذّكرِ) التي انبنى عليها هذا النّمطُ النّحويُّ ترتكزُ على علاقةِ احتياجِ طرفٍ لطرفٍ آخرَ، فإنَّ ضميرَ الغائبِ مستترٌ مبهمٌ مؤوّلٌ بلفظِ مفسرِهِ (التّمييز المنصوب) ومحتاجٌ له، والنّكرةُ بعدَه ظاهرةٌ في الكلامِ، فكانتْ أقوى منه وأولى أنْ تفسّرَه دونَ غيرِها ؛ لأنّه لا يوجدُ في الجملةِ شيءٌ آخرُ أصلحُ لذلك، قال السيرافيّ : ((وأمّا قولهم : نعمَ رجلاً عبدُ اللهِ، فإنَّ في نعمَ ضميراً قدِّمَ على شريطةِ التّفسيرِ، وتفسيرُهُ النّكرةُ التي بعده، والمضمرُ فيها معرفةٌ من لفظِ النّكرةِ)) [3] .

إنّ من أهم خصيصاتِ هذه الأفعالِ انفرادَها عن مثيلاتِها بكونِها تولّفُ تركيباً نحوياً يخضعُ لقاعدةِ (الإضمارِ قبلَ الذّكرِ)، فترفعُ فاعلاً مستتراً يكشفُ غموضَهُ نكرةٌ منصوبةٌ بعدها ؛ وذلك ((لأنَّ المضمرَ قبلَ الذكرِ على شريطةِ التّفسيرِ فيه شبهٌ من النّكرةِ، إذ كانَ لا يفهمُ إلى مَنْ يرجعُ حتى يفسّرَ)) [4] .

ونظراً لطبيعةِ هذا البناءِ ووظيفةِ كلِّ طرفٍ فيه فإنّ الشكلَ التالي يوضحُ العلاقاتِ الإسناديةَ والوظيفيةَ بين ألفاظِهِ :

---

(١) سورة النساء : ٣٨ .

(٢) سورة الكهف : ٣١ .

(٣) شرح الكتاب للسيرافي ١٠/٣.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٤١٢/٧-٤١٣ .

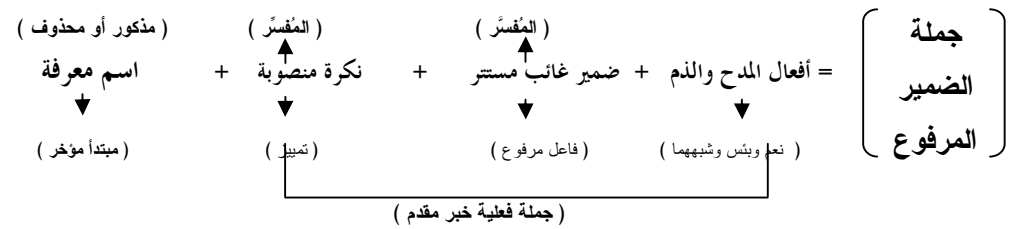

إنّ العلاقةَ الوظيفيةَ التي تربطُ هذه الأفعالَ بالنّكرةِ المنصوبةِ هي علاقةٌ ذاتُ تأثيرٍ محدودٍ، فمثلاً (نعم) فعلٌ جامدٌ لا يتصرفُ ويلازمُ صيغةً واحدةً في اللغة تدلُّ على زمنِ الماضي، فكان بذلكَ أضعفُ عملاً من الأفعالِ المتصرفةِ بسبب مشابهتِهِ لألفاظٍ جامدةٍ كأمثال : العقودِ، وحسب، وويح، فلا يؤثرُ في المعارفِ، وإنّما اقتصرَ تأثيرُهُ على النّكراتِ فقط لضعفِهِ، قال سيبويه : ((فإنّما منعَكَ أنْ تقولَ : نعمَ الرّجلُ، إذا أضمرتَ، أنّه لا يجوزُ أنْ تقولَ : حسبُك به الرّجلُ، إذا أردتَ معنى : حسبُك به رجلاً)) [١] .

ولــمّا اتّصفَ الفاعلُ المضمرُ هنا بأنّه استترَ قبلَ الذكرِ احتيجَ إلى تفسيرٍ، فجيءَ بالنكرةِ، فأصبحَ التّفسيرُ بمنزلةِ الذكرِ المقدمِ، وهذا الاحتياجُ أدّى إلى عدمِ إمكانيةِ توكيدِهِ أو وصفِهِ أو الإبدالِ منه ؛ لأنّ القاعدةَ النّحويةَ تقولُ إنَّ : ((المضمرَ على شريطةِ التّفسيرِ لا يوصفُ قبلَ ذكرِ المفسرِ)) [٢] .

إن المفسِّرَ للضّميرِ _ أي النّكرةَ المنصوبةَ _ باعتبارِهِ طرفاً أساساً في هذا الشّكل النّحويّ يقسمُ عندَ النّحاة إلى :

١- **نكرةٍ محضةٍ :** وهي إمّا أنْ تكونَ مشتقةً وإمّا جامدةً، كما في الأمثلةِ السابقة .

---

(١) الكتاب ٣٠١/١ .

(٢) المقتضب ١٤٤/٢.

٢- **و(ما) النّكرةِ التّامّةِ** : وتشبهُ هذه تلك التي تأتي في أسلوبِ التّعجبِ، فهي ليستْ بموصوفةٍ ولا موصولةٍ، فتنصبُ على التّمييزِ تفسيراً للضّميرِ المرفوعِ[١]، ((فتمامُها من حيثُ عدم إتباعِها بوصفٍ لا من حيثُ أنها واضحةُ المعنى ؛ ولذلك تفسّرُ بشيءٍ)) [٢].

والجديرُ بالذكرِ هنا الإشارة إلى الأحكام التي تقيدُ كلاً من طرفي هذا النمطِ، وهما، **الأول : المفسَّرُ** _ أي الضميرُ المستترُ _، **والثاني : المفسِّرُ** _ أي النكرةُ المنصوبةُ على التّمييزِ _، وأبرزُ تلك الأحكامِ للطّرفِ الأوّلِ (الضمير المستتر) هي[٣] :

١- لا يأتي إلا مستتراً وجوباً على الإطلاق، فلا يظهرُ في الكلامِ، فلا يقال : نعموا رجالاً المحمدون .

٢- لا يجوزُ إتباعُهُ توكيداً أو وصفاً أو إبدالاً ؛ لأنّ مضمونَه لفظاً ومعنىً متوقفٌ على التّمييز.

٣- إذا فسِّرَ بمؤنثٍ لحقت الفعلَ تاءُ التّأنيثِ وجوباً، كما في : نعمت امرأةً هندٌ .

٤- لا يؤولُ إلا باسمِ جنسٍ من لفظِ التّمييزِ ؛ لكونِهِ على نيّةِ اتّصالِهِ بأل التي للجنسِ

ويخضعُ أيضاً الطّرفُ الثّاني (التّمييز) لضوابطَ وشروطٍ، هي :

١- أنْ يكونَ مؤخراً على عاملِهِ ومرفوعِهِ، فلا يقدّمُ عليهما، فلا يقالُ : عالماً نعمَ عمروٌ .

٢- أنْ يكونَ متقدماً وجوباً على المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ، فلا يقالُ : نعمَ عمروٌ عالماً .

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ٣٩٢/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٦٧/٢ .

(٣) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٦٠٣/١-٦٠٧، شرح الاشموني ٤٦/٣-٤٧ .

٣- أنْ يحصلَ التّطابقُ بينَه وبينَ المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ إفراداً وتثنيةً وجمعاً أو تذكيراً وتأنيثاً .

٤- أنْ يقبلَ (أل) الجنسية أو يحلّ محلَّها ما يقبلُها كـــ (ما) النّكرةِ التّامةِ ؛ لأنّه منصوبٌ على التّمييزِ، فلا يكونُ من الألفاظِ الموغلةِ في الإبهامِ كـــ : مثل وغير وأيّ ؛ لأنّه جيءَ به لإزالةِ إبهامِ الضّميرِ المستترِ .

٥- أن يكونَ لفظُهُ نكرةً تفيدُ العمومَ، فلا يقال : نعمَ قمراً القمرُ ؛ لأنّ القمرَ مفردٌ واحدٌ في الوجودِ .

٦- أنْ يكونَ واجبَ الذكرِ في الغالبِ، فلا يجوزُ حذفُهُ .

وقد يتبادرُ إلى الذّهنِ سؤالٌ مفادُه : ما سببُ إنتاجِ اللغةِ لهذا النّمطِ المقصود منه المدحُ أو الذمُ مع أنّ هناك ما قد يُغني عنه ويحلُّ مكانَه ؟!، وهذا يعودُ لما يلي :

١- **القدرة على توليدِ التّراكيبِ** : ويعرفُ هذا بـــ ((التّوسعِ في اللغةِ)) [١]، إذ تلجأُ اللغةُ إلى قدرتِها على استحداثِ أنماطٍ وابتكارِ تراكيبَ مرتبطةٍ بمعانٍ تخدمُ المتكلمَ ؛ لذا نراهُ يعبرُ عن مقاصدَ ينوي من خلالِها استثارةَ الذّهنِ عندَ السّامعِ .

٢- **الميل إلى تخفيفِ الكلامِ** : إذ الانتقالُ من صيغةٍ إلى صيغةٍ أخرى تقفُ وراءَهُ الرّغبةُ في الأسهلِ استعمالاً والأيسرِ تداولاً في الكلامِ ؛ لذلك يُنتقلُ من صيغةٍ ثقيلةٍ، وهي المعرّفُ بـــ (أل) إلى صيغةٍ أخرى خفيفةٍ، وهي النّكرةُ، قال ابنُ يعيش : ((إنّ لفظَ النّكرةِ أخفُّ مما فيه الألفُ واللامُ)) [٢] .

٣- **الفائدة الدّلاليّة** : فإنّ إضمارَ الفاعلِ في هذا التركيبِ يؤدي إلى إشكاليتين، هما : الالتباسُ، والإبهامُ ؛ لذلك جيءَ بالنّكرةِ بعدَه لإزالتِهما،

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٤١٣/٧ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٤١٣/٧ .

وبالتّالي فإنّ ذلك يدلُّ على الاهتمامِ والتّعظيمِ ؛ لأنّ ((فائدةَ الإبهامِ ثم التّفسيرَ، أنّ الشّيءَ إذا أُبهمَ، ثم فسِّر كانَ أوقعَ في النّفسِ ... ؛ ولأنّه إذا ذكِرَ كذلك كان مذكوراً مرتينِ، والمذكورُ مرتينِ أبلغُ من المذكورِ مرةً واحدةً)) [١].

وتتنوعُ الأفعالُ الدّالةُ على المدحِ والذمِّ إلى :

أولاً : الفعلان (نعْمَ وبئْسَ) :

فعلانِ ماضيانِ جامدانِ غيرُ متصرفينِ، يدلانِ في أصلِهما على الخبرِ، فنقلا لإنشاءِ المبالغةِ في المدحِ والذّمِ العامّين [٢]، وليس لهما صيغتانِ لزمنِ المستقبلِ ؛ لـــ ((أنّهما وصفانِ للمدحِ والذّمِ، ولا يصحُّ المدحُ والذّمُ إلا بما قد وجِدَ وثبتَ في الممدوحِ والمذمومِ)) [٣]

ويخضعُ هذانِ الفعلانِ مع فاعلِهما المفسّرِ بنكرةٍ بعده لقاعدةِ (الإضمارِ قبلَ الذكرِ)، كما ينطبقُ عليهما ما ذكر في المخططِ سابقاً، وقد جاءَ هذا النّمطُ في آياتٍ من الذكرِ الحكيمِ طبقاً لما يراهُ نحاةٌ ومفسرون، وهي :

١- ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [٤] .

الفعلُ ﴿ بِئْسَ ﴾ يدلُّ على الذّمِّ، وفاعلُه مضمرٌ مفسّرٌ بـــ ﴿ مَا ﴾، وهي نكرةٌ تامةٌ بمعنى شيءٍ في محلِّ نصبٍ على التمييز، وجملةُ ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ في محلِّ نصبٍ صفة لها، وقولُه: ﴿ أَن

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٩٣.

(٢) ينظر : أمالي ابن الشجري ٢/٣٩٠، ارتشاف الضرب ٤/٢٠٤١، المساعد ٢/١٣١ .

(٣) شرح الكتاب للسيرافي ٣/١١.

(٤) سورة البقرة : ٩٠ .

يَكۡفُرُواْ ﴾ في تأويلِ مصدرٍ مخصوصٍ بالذّمِ في محلِّ رفعٍ بالابتداءِ، والجملةُ قبلَه خبرُه، والتقدير : بئسَ هو شيئاً كفرُهم[١] .

٢- ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[٢] .

إنَّ الفعلَ ﴿نِعۡمَ﴾ يدلُّ على المدحِ، و﴿مَا﴾ نكرةٌ تامةٌ ليست موصوفةً ولا موصولةً ومعناها شيءٌ في محلِّ نصبٍ على التمييز، جيء بها ؛ لتفسيرِ الفاعلِ المضمرِ المستترِ، وقد حلتْ محلَّ النكرةِ المحضةِ، وچهِيَ ﴾ ضميرٌ مخصوصٌ بالمدحِ مرفوعٌ على الابتداءِ، يعودُ على الصّدقاتِ، والجملةُ خبرُه، والتقدير:نعم الشيءُ شيئاً هي، أي : الصّدقات أو إبداؤها[٣].

٣- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾[٤] .

إنّ فعلَ المدحِ ﴿نِعۡمَ﴾ رفع فاعلاً مستتراً، وقد فسِّر بـــ ﴿مَا﴾ النّكرةِ التّامةِ، وهي في محلِّ نصبٍ على التّمييزِ، وجملةُ ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ صفةٌ لها، والتّقدير : نعم الشّيءُ شيئاً يعظكم به، والمخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ[٥]، ((أي : نعمّا يعظكم به ذاك، وهو المأمورُ به من أداءِ الأماناتِ والعدلِ في الحكمِ)) [٦] .

---

(١) ينظر : التعليقة ١١٠/١، الكشاف ١٢٧/١، الدر المصون ٥٠٨/١-٥١٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧١.

(٣) ينظر : الكشاف ٢٤٢/١، شرح المفصل لابن يعيش ٤١٦/٧، الدر المصون ٦٠٩/٢.

(٤) سورة النساء : ٥٨ .

(٥) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٤١٦/٧ .

(٦) الكشاف ٤٠٢/١ .

٤- ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[١] .

دلّ الفعلُ ﴿ بِئْسَ ﴾ على معنى الذمِّ، وفاعلُه مضمرٌ فسِّر بالتّمييز ﴿ بَدَلًا ﴾، وتقديرُ الضميرِ يكون من لفظِ التّمييز المعرف بـــ (أل)، وعليه فالتقديرُ : بئسَ البدلُ بدلاً، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ يعود على إبليسَ وذريتِهِ، أيْ : بئسَ البدلُ إبليسُ وذريتُهُ[٢] .

ثانياً : الفعل (ساءَ) :

يدلُّ المعنى اللغويّ لهذا الفعلِ على نقيضِ الفعل سرَّ [٣]، ويستعملُ لمعنى الذمِّ كـــ (بئس)، فحوّلت صيغتُهُ من (فعَل) _ بفتح العينِ _ إلى (فعُل) _ بضم العينِ _، فصار لازماً بعد أنْ كان متعدياً لمفعولٍ، وأصله سوَء، فقلبتْ الواو إلفا ؛ لتحركِها وانفتاحِ ما قبلها[٤] .

ويتركبُ مع النّكرةِ المنصوبةِ بعده فيتشكلُ نمطٌ دالٌّ على غايةِ الذمِّ، وقد وردَ في آياتٍ كريمةٍ، منها :

١- ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[٥] .

إنَّ الفعلَ ﴿ سَآءَ ﴾ ورد بمعنى بئس للذمِ، والفاعلُ مضمرٌ مفسَّرٌ بالنكرةِ المنصوبةِ ﴿ مَثَلًا ﴾، والمخصوصُ بالذمِّ ﴿ ٱلْقَوْمُ ﴾، أي : ساءَ مثلُ القومِ، أو ساءَ أصحابُ مثلِ القومِ[٦] .

---

(١) سورة الكهف : ٥٠ .

(٢) ينظر : الدر المصون ٥٠٨/٧ .

(٣) ينظر : الصحاح ٥٥/١ .

(٤) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٤١٠/٧، ارتشاف الضرب ٢٠٥٦/٤.

(٥) سورة الأعراف : ١٧٧ .

(٦) ينظر : الكشاف ١٣٤/٢، الدر المصون ٥١٨/٥ .

٢- ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾[١] .

جرى الفعلُ (ساء) مجرى بئسَ فدلَّ على الذمِّ، وتركّبَ مع النّكرةِ المفسّرةِ للضّميرِ الفاعلِ مؤلفاً شكلاً تركيبياً مطابقاً للمخططِ أعلاه، وقد حذفَ المخصوصُ بالذّمِّ، والتّقديرُ : فساءَ قريناً هو، والضّميرُ هو يعود على الشّيطانِ[٢] .

ثالثاً : الصيغة (فَعُلَ) :

يجري كلُّ فعلٍ يصاغُ على الوزنِ (فعُل) _ بضمِّ العينِ _ الدالِّ على التّعجبِ مجرى أفعالِ المدحِ والذمِّ، فتنقلُ هذه الصيغةُ من معنى التّعجبِ إلى معنيي المدحِ والذمِّ، وتؤلفُ مع التّمييزِ نمطاً يفسَّر فيه الضّميرُ المرفوعُ فاعلاً بالنّكرةِ المنصوبةِ، وجاء هذا النمطُ في قولِهِ تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ﴾[٣] .

إذِ استُعمِلَ الفعلُ ﴿كَبُرَ﴾ المصاغُ على (فعُل) للدلالةِ على المبالغةِ في الذّمِّ، والفاعلُ ضميرٌ مستترٌ للغائبِ وجوباً تقديرُهُ هي، تعودُ على الكلمةِ، و﴿كَلِمَةً﴾ منصوبٌ على التّمييزِ مفسِّراً للضّميرِ المستترِ، وتأويلُ الكلامِ كالتالي : كبُرت الكلمةُ كلمةً، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ يعودُ على قولِهم ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾[٤]، ((والنّصبُ أقوى وأبلغُ، وفيه معنى التّعجب، كأنه قيل : ما أكبرها كلمةً !، و﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ﴾

---

(١) سورة النساء : ٣٨ . ورد هذا الفعل ضمن النمط أعلاه في الآيات : (النساء : ٢٢، ٩٧، ١١٥) و(الأعراف : ١٧٧) و(الإسراء :٣٢) و(الكهف:٢٩) و(طه : ١٠١) و(الفرقان : ٦٦) و(الفتح : ٦) .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٢٤٨/٣ .

(٣) سورة الكهف : ٥ . وردت هذه الصيغة جزءاً من هذا النمط في الآيتين : (الفرقان : ٧٦)، و(غافر : ٣٥) .

(٤) سورة الكهف : ٤ . ينظر : الدر المصون ٤٤٠/٧ .

صفةٌ للكلمةِ تفيدُ استعظاماً ؛ لاجترائِهم على النّطق بها وإخراجِها من أفواهِهم)) [١]، ممّا تقدّم نخلصُ إلى أنَّ المبالغةَ في الذمِّ تتأتى هنا من :

١) صياغةِ الفعلِ على الوزنِ (فعُل) الدالِّ على التّعجبِ .

٢) إضمارِ الفاعلِ وتفسيره بالنكرةِ، فالإبهامُ ثمَّ التفسيرُ أشد وقعاً عندَ السّامعِ كما تقدم .

٣) نصبِ لفظةِ ﴿كَلِمَةً﴾[٢] على التّمييزِ مع جوازِ رفعِها على الفاعليةِ لـ ﴿كَبُرَ﴾.

٤) الإتيانِ بجملةِ الصفةِ للتّمييزِ ؛ لتعظيمِ جرمِ مقالتِهم باتخاذِ اللهِ ولداً (سبحانَهُ وتعالى عمّا يصِفُون) .

المطلبُ الرّابعُ
الضميرُ المرفوعُ المفسَّر في باب التنازع

إنّ الاشتراكَ في التأثيرِ وظيفياً من خلالِ توجّهِ عاملينِ (فعلين أو شبههما) لمعمولٍ واحدٍ بواسطةِ رابطٍ يربطُهما هو ما أطلقَ عليه النّحاةُ المتقدمون بـمصطلحِ (الإعمالِ)، غيرَ أنّ ابنَ مالك اصطلحَ عليه (التّنازع) [٣] .

وبما أنّه – أي التّنازع – يتألفُ من صورٍ مختلفةٍ لأنماطٍ وتراكيبَ متباينةٍ فما يعنينا هنا النمطُ الذي يحتوي ضميراً مرفوعاً مفسراً بالاسم الظاهرِ بعدَهُ، وصورتُه مفادُها التالي[٤]:

أنْ يأتيَ عاملان (فعلان أو شبههما)، وقد ارتبطا برابطِ العطفِ، الأولُ منهما (متعدٍّ أو لازمٌ) رفعَ على الفاعليةِ ضميراً غائباً (سواءٌ كان

---

(١) الكشاف ٥١٨/٢ .

(٢) قرأها رفعاً على الفاعلية كلٌّ من يحيى بن يعمر والحسن وابن محيصن وابن أبي إسحاق والثقفي والأعرج وعمرو بن عبيد، ينظر : المحتسب ٦٩/٢ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ١٦٤/١ .

(٤) ينظر : الإيضاح في شرح المفصل ١/ ١٢٩ .

مستتراً أم بارزاً)، والثّاني متعدٍّ نصبَ مفعولاً به ظاهراً، وقد فسَّرَ الضّميرَ المرفوعَ، مثل : رآني ورأيتُ محمداً، وطبقاً لهذه الصّورةِ فالرّكنانِ الأساسانِ اللّذان تركّبَ النمط منهما هما :

- **الأوّل (المفسَّر)** : وهو الضّميرُ المرفوعُ فاعلاً للعاملِ الأوّلِ .
- **الثّاني (المفسِّر)** : وهو الاسمُ الظّاهرُ المنصوبُ مفعولاً به للعاملِ الثّاني .

ولتوضيح مما يتشكل منه هذا النّمط إليك الرّسم التّخطيطيّ :

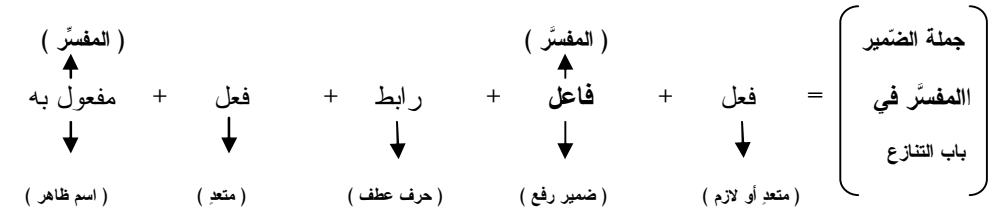

وعندَ النّظرِ إلى المخططِ يظهرُ ما يلي :

١- **الاشتراك الوظيفيّ** : إذ نلاحظُ أنّ كلَّ عاملٍ منهما يشتركُ في التّوجهِ والاحتياجِ إلى معمولٍ يؤثرُ فيه، فالأولُ يحتاجُ فاعلاً، والثاني يحتاجُ مفعولاً به، يضافُ إلى ذلك أنّ كلا العاملينِ يتوجهانِ إلى اسمٍ ظاهرٍ متأخرٍ في اللّفظِ والرّتبةِ، فأثّر فيه العاملُ الثّاني فنصبَهُ مفعولاً به ؛ لأنّه الأقربُ، بيدَ أنّ العاملَ الأوّل بقي بدونِ فاعلٍ ؛ لذلك رفعَ على الفاعليةِ ضميراً مستتراً، وحينئذ كانَ الظّاهرُ مفسِّراً للضّميرِ .

٢- **الرّبط** : يقصد به الجمع بين عاملين معنىً ووظيفةً، ويربط بينهما رابطٌ كحرفِ العطفِ مثلاً فيصبحانِ بمنزلةِ شيءٍ واحدٍ، فكلُّ عاملٍ مع معمولِه يركبُ جملةً، وهذا يعني وجود جملتينِ منفصلتينِ عن بعضِهما ؛ لذا كانا ادعى لجمعِهما معاً،

إذ ((العاملانِ في بابِ التّنازع لا بدَّ من ارتباطِهما ... بعاطفٍ)) [1] حسبما تقرّرَ عندَ النّحاةِ .

٣- **التّطابق** : ففيه أعلاه نرى أنّ الاسمَ الظّاهرَ (المفسِّر) المنصوبَ على المفعوليةِ يجبُ تطابقُه إفراداً أو تثنية أو جمعاً وتذكيراً أو تأنيثاً للضّميرِ المرفوعِ (المفسَّر) فاعلاً، كما في الأمثلةِ التاليةِ :

- أكرمَني وشجّعتُ الطّالبَ .
- أكرمَاني وشجّعتُ الطّالبينِ .
- أكرمُوني وشجّعتُ الطّلّابَ .
- أكرمْنَني وشجّعتُ الطّالباتِ .

إذ نلحظُ أنّ الضّمائرَ (ضميرَ الرّفعِ المستتر، وألفَ الاثنينِ، وواوَ الجماعةِ، ونونَ النّسوةِ) وقعتْ فاعلاً للعاملِ الأولِ، وهو الفعلُ (أكرم) ، وكذلك نجدُ أنّ الأسماءَ الظاهرةَ (الطالبَ، والطالبينِ، والطلابَ، والطالباتِ) وقعتْ مفعولاً به للعامل الثاني، وهو الفعل (شجّع)، وقد فسرت الأسماءُ الظاهرةُ فيها الضّمائرَ المرفوعةَ بالعامل الأول، ، كما أنّ الجملَ تقدمتْ فيها الضّمائرَ ابتداءً، ثم جيءَ بالأسماءِ الظّاهرةِ متأخرةً خلافاً للأصلِ القائلِ أنّ : (الذكر يأتي قبلَ الإضمارِ) .

وقد كان من أوائلِ الذين فسّروا جملاً في باب التنازع جاءت مطابقة لقاعدةِ (الإضمارِ قبلَ الذكرِ) هو سيبويه في : (باب الفاعلين والمفعولين اللذين كلّ واحدٍ منهما يفعلُ بفاعلِه مثل الذي يفعلُ به) حيث قال موضحاً عنوانَ البابِ : وهو قولُك : ضربتُ وضربني زيدٌ، وضربني وضربتُ زيداً، فحمل الاسمُ على الفعلِ الذي يليه ...، وكذلك

(١) مغني اللبيب ٢/٦٦٠ .

تقولُ : ضربوني وضربتُ قومَك، إذا أعملت الآخر فلا بدَّ في الأولِ من ضميرِ الفاعلِ [١]، ثم استدلَّ بقولِ الشاعرِ :

وكــُمتاً مــدَّماةً كــأنَّ مُتونَها جَرَى فَوقَها واستشعرَتْ لونَ مَذهب[٢]

ووفقاً لرؤيةِ سيبويه فإنّ الفعلينِ (جرى، استشعرت) توجّه كلُّ واحدٍ منهما إلى طلبِ ما يحتاجه، فالأوّل لازمٌ يطلبُ فاعلاً، والثاني متعدٍّ يطلبُ مفعولاً به، فاضمرَ (هو) في الأولِ مرفوعاً، وهو الفاعلُ له، وأظهرَ (لون مذهب) اسماً ظاهراً مفعولاً به للثاني، وقد فسّر الاسمُ الظّاهرُ الضّميرَ المستترَ (هو)، ((ولو كانَ أعملَ الأوّلَ لرفعَ (اللون) بالفعلِ الأولِ، وكانَ أظهرَ ضميرَ المفعولِ في (استشعرت)، وقال : واستشعرته)) [٣] .

إذن فإنّ صحةَ تفسيرِ سيبويه للضّمير بالظاهر هنا طبقاً للقاعدةِ أعلاه تتأتى مما يلي :

١- لا يمكن ــ لما يراه الكسائي ــ حذفُ الفاعلِ من الفعل الأول ؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى حذفِ العمدةِ من الجملةِ الفعلية وأحدِ ركنيها، فلم يعرفُ في اللغةِ أنّ الفعلَ يجردُ من الفاعلِ .

٢- إنّ إخضاعه لها تظهرُ فائدتُه عند إسنادِ الفعلِ الأولِ منه إلى ضمائرِ الاثنينِ وواوِ الجماعةِ ونونِ النّسوةِ، فهذه الضمائرُ لا بدَّ أنْ يكون لها محلاً إعرابياً، وهو الفاعلية .

---

(١) ينظر : الكتاب ٣٧/١، شرح الكتاب للسيرافي ٣٦٣/١ .

(٢) البيت لطفيل الغنوي، وهو من الطويل، ينظر : المقتضب ٧٥/٤، الإيضاح في شرح المفصل ١٣٠/١ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٥١/١ .

٣- وردتْ في اللغةِ صورٌ وأنماطٌ فسِّر على وفقِها كضميرِ الشأنِ والضميرِ المجرورِ بـــ (ربَّ) وغيرِهما، فعليه يمكنُ تفسيرُهُ بها أسوةً بغيرِهِ ممّا جاء فيه من هذه الأنماطِ[١] .

(١) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١/١٥٠ .

الخاتمة

بعد الفراغِ من تطوافِ النظرِ في قضايا الضميرِ المرفوعِ المفسرِ بما بعدَه وتسليط الضوءِ على الأنماطِ النحويةِ التي انسبك فيها ضميرُ الغائبِ وشكّل جزءاً من التّركيبةِ البنيويّةِ لها، لم يبقَ إلا الإشارة إلى أهمِ النتائج، وهي :

١. يتميزُ ضميرُ الغائبِ بأنه غامضٌ مبهمٌ يعود على مرجعِه المتقدمِ لفظاً ورتبة، في حين أنّ ضميري المتكلمِ والمخاطبِ معلومان معروفان عند السامعِ ؛ لأنهما يقيدان بسبب قرينتي الحضورِ والتّعيينِ .

٢. يخضعُ للأصلِ المعروفِ القائل (الذكر مقدم على الإضمار)، فجاءَ في نصوصٍ لغويةٍ مخالفاً لهذا الأصلِ، فتقدم الضميرُ لفظاً ورتبةً وتأخر مرجعه عليه ؛ لذلك كان مقيداً بما يسمى بـــ (الإضمار قبل الذكر)، وهي قاعدةٌ خرجت عن القياسِ المعهودِ ،.

٣. يشكّل مع ما بعدَه (مفرد أو جملة) أنماطاً بنيويةً وتراكيبَ نحويةً حددها النحاةُ من خلال الاستقراءِ والنظرِ في سبعةِ أنماطٍ، اعتنت الدراسةُ بأربعةٍ منها، هي : جملةُ ضميرِ الشأنِ والقصةِ، وجملةُ الضميرِ المفسَّرِ بخبرِه، وجملةُ الضميرِ المرفوعِ بـــ (نعم وبئس) وشبههما، وجملةُ الضميرِ المرفوعِ المفسَّر في بابِ التنازع .

٤. يعدُّ سيبويه أوّلَ من رصدَ هذه القاعدة، أي : (الإضمار قبل الذكر)، ونبّه على الجملِ التي يأتي فيها ضميرُ الغائبِ مقدماً لفظاً ورتبةً .

٥. إنَّ أوّلَ مَنْ ألمح إلى جملةِ الضميرِ المفسَّرِ بخبرِهِ هو الزمخشريُّ، ولكنَّ أوّلَ من أشارَ إليها صراحةً بعده هو ابنُ مالكٍ، وعدَّها نوعاً من الأنماطِ التي تخضعُ للقاعدةِ أعلاه .

٦. ترتكزُ هذه الأنماطُ الأربع على طرفينِ أساسين، الأول : هو المفسَّرُ، والثاني : هو المفسِّرُ، وأشارت الدراسةُ إلى العلاقاتِ التي تربط بينهما كالتركيبيّةِ والوظيفيّةِ والدلاليّةِ وغيرها .

٧. استنتجت الدراسةُ أنّ الوظيفةَ الدلاليّةَ لضمير الشأنِ لا تنحصرُ في معنى التعظيمِ فقط كما ذكرَ النحاةُ، بل تتعداها إلى معانٍ أخرى كالاهتمامِ والعنايةِ والتأكيدِ وغيرها .

فهرس المصادر والمراجع

- الأزهريّ : أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ) .
ـ **تهذيب اللغة** : القاهرة – مصر، ١٩٦٤-١٩٦٧م .
- الأشمونيّ : علي بن محمد بن عيسى (ت ٩٠٠هـ تقريباً) .
ـ **شرح الاشموني على ألفية ابن مالك** : تحـ . محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- الآلوسيّ : أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ) .
ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : دار إحياء التراث، العربي، بيروت – لبنان .
- برجشتراسير :
ـ **التطور النحويّ للغة العربية** : أخرجه وصححه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
- البغداديّ : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٣٩هـ) .
ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** : تحـ . عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م .
- البقاعيّ : إبراهيم بن عمر بن حسن (ت ٨٨٥هـ) .
ـ **نظم الدرر في تناسق الآيات والسور** : تحـ . عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- بوعلي : د. فؤاد
ـ **الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي** : عالم الكتب الحديث ، أربد – الأردن، ٢٠١١م .

- الثمانينيّ : عمر بن ثابت بن إبراهيم (ت ٤٤٢هـ) .
ـ **القواعد والفوائد** : دراسة وتحقيق د. عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

- الجرجانيّ : علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ) .
ـ **التعريفات** : تحـ . إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .
- ابن جنيّ : أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ) .
ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
- الجوهريّ : أبو إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) .
ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** : تحـ . أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٩٩٠م .
- ابن الحاجب : عثمان ابن أبي بكر بن يونس (ت ٦٤٦هـ) .
ـ **الإيضاح في شرح المفصل** : تحـ. أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .
- أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) .
ـ **ارتشاف الضرب من لسان العرب** : تحـ . د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .
ـ **البحر المحيط** : مكتبة النصر الحديثة، الرياض ـ السعودية .
ـ **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل** : تحـ . أ. د. حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق .
- ابن الجزريّ : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ) .
ـ **النشر في القراءات العشر** : تحـ . علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان .
- ابن ابن الجزريّ : أحمد بن محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٥هـ) .

ـ **شرح طيبة النشر في القراءات العشر** : ضبطه وعلق عليه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

- الدانيّ : أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) .

ـ **التيسير في القراءات السبع** : تحـ. أوتو برتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م .

- الدّسوقيّ : محمد بن أحمد بن عرفة (ت ١٢٣٠هـ) .

ـ **حاشية الدسوقي على مغني اللبيب** : دار السلام للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

- الدّماميني : محمد ابن أبي بكر بن عمر (ت ٨٢٧هـ) .

ـ **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد** : تحـ.د. محمد بن عبد الرحمن المفدى

- الرّازيّ : محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦هـ) .

ـ **مفاتيح الغيب** : المطبعة البهية، القاهرة – مصر.

- الرّضيّ : محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) .

ـ **شرح الرضي على الكافية** : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

- الزّمخشريّ : محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ) .

ـ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** :

ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني بن منير، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

- أبو السعود : محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) .

ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم** : دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

- السّلسيليّ : محمد بن عيسى بن عبد الله (ت ٧٧٠هـ) .
ـ **شفاء العليل في إيضاح التسهيل** : تحـ .د. الشريف عبد الله، المكتبة الفيصيلة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م
- السّمين الحلبي : أحمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٥٦هـ) .
ـ **الدر المصون في علوم القرآن المكنون** : تحـ. د. أحمد محمد الخراط،
دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .
- سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) .
ـ **الكتاب** : المطبعة الأميرية، بولاق ـ مصر، ١٣١٦هـ .
- السّيرافيّ : الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ) .
ـ **شرح كتاب سيبويه** : تحـ . أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .
- السّيوطيّ : عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد الخضيري (ت ٩١١هـ) .
ـ **الأشباه والنظائر في النحو** : دار الكتب العلمية، بيرون – لبنان .
ـ **همع الهوامع على جمع الجوامع** : تحـ.د. عبد العال مكرم سالم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م .
- ابن الشّجريّ : هبة الله بن علي بن محمد العلوي (ت ٥٤٢هـ) .
ـ **أمالي ابن الشجري** : تحقيق ودراسة د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م
- الشّنقيطيّ : أحمد بن أمين (ت١٣٣٠هـ) .
ـ **الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع**: دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- الشّوكانيّ : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) .
ـ **فتح القدير** : دار الفكر، بيروت – لبنان .

- الطّليحيّ : د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله .
ـ **دلالة السياق** : معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ .
- ابن عاشور : محمد الطاهر .
ـ **التحرير والتنوير** : الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
- ابن عادل : عمر بن علي بن عادل (ت بعد ٨٨٠هـ) .
ـ **اللباب في علوم الكتاب** : تحقيق جماعة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م
- عبد الباقي : محمد فؤاد .
ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : دار الحديث، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- ابن عصفور : علي بن مؤمن بن محمد الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ) .
ـ **شرح جمل الزجاجي** : تحـ. د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٢هـ) .
ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : تحـ . عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- ابن عقيل : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي (ت ٧٦٩هـ)
ـ **المساعد على تسهيل الفوائد** : تحـ . د. محمد كامل بركات، دار الفكر ، دمشق، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- العكبريّ : عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ) .
ـ **التبيان في إعراب القرآن** : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
- الفارسيّ : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٣٧٧هـ) .
ـ **التعليقة على كتاب سيبويه** : تحـ. د. عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٤م .

ـ **الحجة للقراء السبعة** : تحـ . كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

- الفرّاء : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي (ت ٢٠٧هـ) .

ـ **معاني القرآن** : تحـ . أحمد يوسف ومحمد علي النجار، دار السرور.

- القرطبيّ : محمد بن أحمد ابن أبي بكر (ت ٦٧١هـ) .

ـ **الجامع لأحكام القرآن** : دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- القيسيّ : أبو محمد مكيّ ابن أبي طالب بن حبوش (ت ٤٣٧هـ) .

ـ **مشكل إعراب القرآن** : دراسة وتحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

- المالقيّ : أحمد بن عبد النور (ت ٧٠٥هـ) .

ـ **رصف المباني في شرح حروف المعاني** : تحـ . أ . د. احمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ ٢٠٠٢م .

- ابن مالك : محمد بن عبد الله بن عبد الله الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) .

ـ **شرح التسهيل** : تحـ . د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٤م .

- المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٦هـ) .

ـ **المقتضب** : تحـ. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م.

- المراديّ : الحسن بن قاسم بن عبد الله (ت ٧٤٩ هـ) .

ـ **الجنى الداني في حروف المعاني** : تحـ . د. فخر الدين قباوة، أ . محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

- ابن منظور : محمد بن علي بن مكرم (ت ٧١١هـ) .

ـ **لسان العرب** : دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٦٨م .

- النّحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي (ت ٣٣٨هـ) .
ـ **شرح أبيات سيبويه** : تحـ. د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م
- ابن هشام : عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) .
ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : تحـ.د. مازن مبارك ومحمد علي، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م .
- ابن يعيش : يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) .
ـ **شرح المفصل** : تحـ. أحمد السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر.

Abstract

After the completion of the cruise considering the issues raised interpreter of conscience , including after highlighting grammatical patterns which Anspk the conscience of absentee and form part of the structural composition of her , there was only referring to the most important results , namely:

1. Characterized as vague pronoun absent due to vague attributed Advanced rude and rank , while my conscience speaker and addressee Maloman -known when the listener; because they constrain because Qriente attendance and recruitment.
2. Subject to out -known view (the male presenter on Aladmar), came in the texts of linguistic contrary to the asset , providing the conscience of the rude and rank and delayed attributed to him ; so it was constrained by so-called (Aladmar before mentioned) , a rule went out for measurement usual.
3. Poses with later (Single or phrase) patterns of structural and structures grammatical identified grammarians through induction and consider the seven patterns , cared study four of them , are: inter conscience matter and the story, and inter conscience interpreter with experience , and inter conscience raised (b Yes and evil) and Hbhama , the conscience clause raised the interpreter in the door of a conflict.
4. Sibawayh is the first to monitor this rule , namely : (Aladmar mentioned before) , and drew attention to the sentences that comes in. conscience absent in advance of the rude and rank.
5. The first alluded to the conscience clause is Elzimkhcri interpreter with experience , but the first to explicitly referred to later is the son of the owner , and the promise of some sort of patterns that are subject to the rule above.